سلسلة الدراسات التوثيقية 9



علي عثمان محمد صالح

حفريات ونقوش على جدار الذاكرة السودانية

إشراف:

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد - د. عوض شبّا

الطبعة الأولى 2022م

علي عثمان محمد صالح - حفريات ونقوش على جدار الذاكرة السودانية

القارىء الكريم:

سلسلة الدراسات التوثيقية هي مجموعة من الدراسات والبحوث العلمية الرصينة الهادفة، عملت دار آريثيريا للنشر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها بالشراكة مع مجلة القلزم للدراسات التوثيقية.. خدمةً للبحث العلمي في مجال الدراسات و البحوث التوثيقية.

القارئ الكريم:

تثمن دار آريثيريا للنشر والتوزيع المجهودات العلمية لجميع المفكرين والمختصين والباحثين من مختلف الدول العربية وخارجها، وتؤكد بأنها سوف تعمل بكل جد واجتهاد على توسيع قاعدة النشر العلمي وإتاحته عبر الدار وشركائها، لنشر البحوث التي تسهم في رفد المكتبة العربية والعالمية بالجديد المفيد.

القارئ الكريم:

العالم اليوم يؤمن بالعمل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الإيجابي على الفرد والمجتع، ومن خلال هذا المحور نعمل دائما - بحول الله تعالى - كي تكون الدار منبراً علمياً يشار إليه بالبنان. بإذنه تعالى.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

سلسلة الدراسات التوثيقية (9)



علي عثمان محمد صالح

حفريات ونقوش على جدار الذاكرة السودانية

إشراف

أ.د. حاتم الصديق محمد أحمد – د. عوض شبّا

الطبعة الأولى - 2022م

الكتاب :علي عثمان محمد صالح.. حفريات ونقوش على جدار الذاكرة السودانية
تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2022م

التصميم والإخراج: علي عبد الحليم كابتود



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution
جوال : 00249910785855 - 00249121566207
arithriaforpublishing@gmail.com

بسم الله الرّحمن الرّحيم

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ★وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾

(آل عمران - الآية ٩٢)

الفصل الأول

في حضرة عالم..
(إحالات على هامش سيرة الميلاد)

في حضرة عالم..
(إحالات على هامش سيرة الميلاد)

د. عوض شبّا
مركز بحوث ودراسات دول
حوض البحر الأحمر - السودان

مقدمة:

هذه الدراسة ربما لا تكون ورقة علمية مستوفية لكل الشروط المطلوبة، وفق ماهو معمول به في الأوساط الأكاديمية ومتعارف عليه من معايير وضوابط منهجية صارمة، وكذلك ليست دراسة متكاملة عن شخصية معروفة في الأوساط العلمية تتناول سيرته ومسيرته وإنما هي فى جوهرها - كما ورد في العنوان- إضاءات أولية لأثر مكان الميلاد والنشأة في تكوين وتوجيه ملامح شخصية عظيمة لم تقف عند حقل تخصصه وهو علم الآثار وإنما تعدى ذلك إلي التاريخ والتصوف والسياسة وغيرها. تناولناها من وحي المعاشرة والإحتكاك به ، أو قل هي إنطباعات شخصية ومشاهدات رسخت فى ذهن الكاتب وتكونت من خلالها.

من جانب آخر تحاول الورقة أن تكتسب الصبغة العلمية فى أسلوبها التوثيقي لإعتمادها على رؤية منهجية واضحة تركز على الدور الأساسى لبيئة الميلاد والنشأة في تكوين الشخصية مثلت جانبا مهما من إهتمامات ودراسات الكاتب في الفترة الأخيرة[1] ، ولعل في هذه الدراسة ميزة مصدرية لم تتوفر لغيرها من الدراسات وهو معايشة الكاتب للشخصية قد تمكنه من تقديم نظرة موضوعية عن الشخصية لأن معظم الدراسات عن الشخصيات تمت لشخصيات برزت دورها بعد وفاتها لأسباب أيدولوجية وغيرها .

إن أهمية هذه الدراسة تكمن فى إرتكازه على فرضية قابلة للنقاش تقول بأن للبيئة ومكان النشأة دور أساس في تكوين ملامح الشخصية وأن المنتوج العلمي والفكري لشخصية الدراسة لا يمكن دراسته بصورة منفصلة عن السمات الأساسية لشخصيته ، وكذلك من عناصر اهمية هذه الورقة- كما وضحت- أنها كتبت تحت سمع وبصر الشخصية وأن عطاءه مازال مستمرا.

ولمعالجة موضوع هذه الورقة بصورة مرضية رغم إيجازها تم تقسيمها للمحاور الآتية:

- مقدمة .
- مشكيلا.. الميلاد والنشأة.
- المزاج النوبي في شخصيته.
- ملاحظات أولية لسيرته العلمية والفكرية.
- الخاتمة .
- لمصادر والمراجع.
- الملاحق.

مشكيلا .. الميلاد والنشأة:

من الضروري عند دراسة أي شخصية الوقوف على ظروف الميلاد والعوامل الاجتماعية والبيئية التي نشأ فيها ، لأن للسنوات الأولى في حياة الطفل دور اساسي في تشكيل سمات شخصيته وتكوين سلوكه واتجاهاته الإجتماعية التي تبقي ثابتة خلال حياته وتلازمه دوما ، وقد تكتسب بعض السمات أخري نتيجة تفاعلها مع بعض المجتمعات والبيئات الأخري والجديدة [3] لذا سوف نلقي بعض الضؤ علي مكان ميلاد ونشاة العلامة علي عثمان محمد صالح كنقطة إنطلاقة محورية في هذه الورقة الموجزة.

تقول السيرة الذاتية للبروفسير/علي عثمان محمد صالح -كما رواها لي - أنه ولد بمشكيلا عام 1946م وتربي في ربوعها وارتبط بها وتأثر بها واثرت عليه .وأصوله من أسرية محسية من مشكيلا تداخلت مع أسرة دنقلاوية تنتمي لمنطقة السير بأرقو حيث ان والدة أبيه عثمان من هناك وكانت هي الرابطة التى جمعته بزوجته نعيمة إدريس خيري عام 1974م وأنجب منها ابنته ألارآ وابنه أحمد وكان زواجه بمدينة الخرطوم مكان إستقرار زوجته ونسابته واقام بها بعد زواجه ولكنه أقام كل مراسم عرسه الأولي بمشكيلا كما تقتضيها العادات والتقاليد النوبية ثم أكملها بالخرطوم [4].

كانت قرية مشكيلا في منطقة المحس النوبية بشمال السودان هي مكان الميلاد والنشأة .ومشكيلا أو مشكلية كما تم تعريفه في موقع ويكيبديا «... اسم مركب من «مشة» وتعني الشمس و«كيلة» وتعني النهاية.

وبحسب الأساطير القديمة معناها «نهاية الشمس» أو «حد الشمس» أو «آخر الشمس» . و يذكر البروفسور علي عثمان محمد صالح عالم الآثار النوبي و ابن القرية

معني آخر للاسم هو أيضا مركب من كلمتين ميشي بمعني كبير أو ضخم (راجع اجزاء الساقية) و كول بمعني حفير . اي الحفير الكبير. وقد نشر ذلك في مجلة مشكنور.

تقع قرية مشكيلة في شمال السودان على بعد حوالى 600 كيلومترٍ شمال الخرطوم وعلى بعد حوالى 90 كيلومتر شمال مدينة دنقلا، على الضفة الشرقية لنهر النيل وعلى بعد كيلومترات قليلة من الشلال الثالث للنيل (كجبار وهي بأرض المحس محافظة وادي حلفا على ضفاف نهر النيل عند منحنى النهر شرق- غرب تحدها شرقا قرية فريق و غربا قرية نوري و شمالا بالضفة الاخرى للنيل قرية دفوي.

تتكون القرية من العديد من الاحياء تصطف بمحاذاة النيل من الغرب الي الشرق هي: كسبتة، فقيركي، خشابكي، تبدنكي، حاجنكي، ادولكي، فركي، مشكيلة وسط، نصركي، همبون، ارمد، حسنكي، كولوسود.

توجد سلسلة جبلية بمحاذاة القرية، ولذا سميت بأرض الحجر. التعداد السكاني حوالى 2000نسمة. ولكن يقدر عدد اهلها باكثر من ذلك بكثير ولكن اغلبهم يعملون في العاصمة أو دول المهجر و يعودون في الاجازات كما هو الحال في كل القري النوبية الاخرى، وهي أكبر قري المحس و اكثرها اكتظاظا بالسكان.

تحتوي القرية علي العديد من المواقع الاثرية من حقب تاريخية مختلفة و توجد العديد من الحصون الحجرية و الطينية و بعض القباب الإسلامية في مقابرها. يوجد بالقرية مدرستان للاساس واحدة للبنين و اخري للبنات و مستوصف و نادي اجتماعي و مشروع زراعي تعاوني. تمتاز بنخيلها و خصب اراضيها رغم ضيقها الشديد. كما يرسم النيل شريطا من الجمال و الخضرة وسط الصحراء الشاسعة .

ينتشر أبناء القرية الان في الخرطوم و اماكن كثيرة في السودان كما ينتشرون في الكثير من بلدان العالم خصوصا في المملكة العربية السعودية و الولايات المتحدة الأمريكية و كندا»[5]. وعودا على بدء وحتى نستكمل جوانب التعريف بأسرة على عثمان وبعض تفاصيل نشأته وتعليمه نستعين ببعض ما خطه قلم شيخ الدين مختار عن هذا الموضوع :» وُلد على عثمان محمد صالح بالمحس فى قرية مشكيلة ، وتحديداً فى حلة (حاجينكى)، والدته هي فاطمة أمين آدم حاج .أما زوجته نعيمة إدريس خيرى, فهي صاحبة الفضل الكبير بعد الله فى تشكيل العالَم الخاص ليكون على عثمان عالمًا، فبعد زواجهما أراد الله أن يؤّخر لهما وهْبة الذرية ، فصبرا صبراً جميلًا ، ولكن أهله استعجلوه ذات مرة ، فكان أن غضب غضبة مضرية ؛ وقال:» هي التى تهيئ لى حياتى

العِلْميـة ، ودونهـا يهـون كل شـئ «؛ إدريـس خـيرى والـد نعيمـة هو شـقيق سـتنا خـيرى والدة عثـمان محمـد صالـح وإخوتـه ، وتعـود أصولهـا إلى قريـة السـير بأرقـو مـن حيـث الموطـن ، وقـد اسـتقر بهـم المقـام فى الخرطـوم حيـث كان النقـل النهـرى .

أعمامـه أربعـة وهـم مزارعـون و عـمال وتجـار ، وجدهـم شريـف حـاج زوج (مياسـة أدول) ، وأدول هـذا ، صاحـب حِلـة ، وقبـة ، وصاحـب شـأن فى عـالم الروحانيـات.

في النصـف الأول مـن أربعينيـات القـرن العشريـن لم تكـن هنـاك وسـائل للحيـاة غـير تلـك السـواقى التـى كانـت تنـوح مـن بـزوغ الفجـر إلى مغيـب الشـمس ، وصراع دائـم لإسـتزراع الأرض بالطوريـة والمنجـل .

أول مدخـل للطفـل عـلى فى عـالم (أقـرأ) كان خلـوة خالـه فقـير عبداللـه خـيرى فى (همبـون) مسـقط رأس جدتـه كوشـيه ، وعبداللـه خـيرى هـو الأخ الأكـبر لفاطمـة أمـين والـدة عـلى عثـمان ، وأخ يعقـوب أمـين خالـه ؛ وثلاثتهـم أولاد كوشـيه فضـل .وكان للطفـل عـلى نصيب فى خلـوة أوشى وهـي الخلـوة التـى تلـت خلـوة همبـون .

تجـاور مشـكيلا منطقـة نـوري وكان بهـا مملكـة، وفي نـورى هـذه قبـة شـيخ إنحـدر مـن صلبـه أربعـة أولاد وبنـت واحـدة ، يرجـع إليهـم أغلـب نسـب مشـكيلة ، وهـذه القبـة شـهدت أفـراح ختـان عـلى عثـمان واولاد المنطقـة

نشـأ الطفـل عـلى عثـمان فى هـذه القريـة وكان محظوظـا حيـث وجـد رعايـة خاصـة جـدًا مـن والـده عثـمان ومـن أقربائـه حامـد محمـد صالـح وصالـح وأبوبكـر وأحمـد وكان محـل حفـاوة مـن أهـل الحـي وكان السـاعد الأيمـن للحـاج حامـد في إدارة دكانـه وشـئون العائلـة وكان كاتـب الرسـائل وحافـظ الأسرار ومـن دون أولاد (حاجينـكي)كان الأوفـر حظـا وقبـولًا وللأمانـة كل أهـل مشـكيلة كانـوا يحتفلـون بقدومـه وسـفره ، في زمـن

قليـلٌ مـن حُظـيَ بالتعليـم ، فالرهـط الأول تعلـم فى خلـوة جزيـرة مقـاصر وخلـوة أوشى بفريـق ثـم خلـوة الشـيخ تـاج الختـم بفريـق ، ثـم بخلـوة أوشى فى مشـكيلة ونفـر لا يتجـاوز عددهـم العـشرة فى الأزهـر الشريـف بمـصر .

درس عـلى عثـمان المدرسـة الأوليـة فى فريـق القريـة المجـاورة لقريتـه ،فى بدايـات الخمسـينات ، ووقتهـا كانـت مناطـق المحـس عـلى إتسـاعها وكثافـة سـكانها لم تنشـأ فيهـا إلا مدرسـتى دلقـو ، وفريـق ، وتلقـى تعليمـه الأوسـط فى مدرسـة دلقـو الوسـطى ، وأيضـاً كانـت هـي المدرسـة الوسـطى الوحيـدة فى المحـس . كان لمحدوديـة عـدد التلاميـذ الذيـن يتـم قبولهـم مـن كل قريـة فى مدرسـة فريـق الأوليـة، دور مهـم فى بلـورة أهميـة التعليـم فى مفاهيـم النـاس ، بـل وتعظيـم النـاس لطالـب التعليـم ، ومـن هنـا كان نظـرة مجتمـع مشـكيلة لإبنهـم عـلى عثـمان وهـو يتـدرج فى سـلم التعليـم بنجـاح ، نظـرة كل أب لابنـه ، ونظـرة كل أم لإبنهـا ، فقـد درجـوا عـلى الإحتفـاء بنجاحـه فى كل مرحلـة وكان مسـك الختـام

تخرجه فى جامعة الخرطوم ، فاحتفت به الأسرة الكبيرة (آل حاج) بمشاركة القرية كلها ، وتوالت دعوات الولائم طيلة العطلة الصيفية للمدارس والجامعات والتى كانت تمتد إلى ثلاثة أشهر .

درس على عثمان المرحلة الثانوية فى الأهلية أمدرمان ، وأمضى فترة طويلة مشاركًا خاله محمد طه عبدالكريم السكنى فى منزله ، وقد هيأ له أسباب الراحة والمذاكرة وتجلى نبوغه فى التعلم ، هذا ، وقد إمتحن للدخول فى المرحلة الثانوية من الخرطوم الذى وفد إليه بعد أن مرض فى دلقو الوسطى ...»[٦].

إن حياة البروفسير على عثمان محمد صالح إرتبطت بمنطقة ميلاده ونشأته إرتباطا وثيقا حتى بعد التحق بكلية الآداب-جامعة الخرطوم عام 1965م وتخرج فيها.

كان على عثمان في طفولته يسترق السمع لصوت تلاوة القرآن الكريم العطرة في خلوة القرية ، ويستأنس بحلق الذكر من السادة الختمية وإلي ترانيم السادة الأدارسة الطربقتان الصوفيتان التى إشتهرتا في المنطقة لتكونا البذرة التى ربت في نفسه حبه للتصوف ليصبح فيما بعد أحد خلفاء الطريقة السمانية. وهذه القاعدة الروحية التي تربي عليها وما ألف عليها من اسرته ربما هي التي جعلته ينتمي سياسيا للحزب الاتحادي الديمقراطي ويكون من قادتها السياسيين.

بعد تخرجه من الجامعة لم تنقطع صلته بمشكيلا فكان من المؤسسين لرابطة طلاب المنطقة بالجامعات والمعاهد العليا ونادي أبناء مشكيلا، ثم إتحاد أبناء المحس وانتخب رئيسا له لدورة عام 1969م ولعدة دورات آخري .

هذه مؤشرات عامة تبين لنا مدى تعلقه بمنطقته النوبية وكان دوره أساس في تكون شخصيته العلمية. ويكفينا هنا أنه يردد دوما «أنا من مشكيلا ومازالت أقيم فيها ومنزلي بنيته هناك لأنه مكان إقامتي أنزل بها سنويا ووجودى بالخرطوم وإن طال إقامة مؤقتة «[7].

المزاج النوبي في شخصيته:

تعددت تعريفات الشخصية على حسب التخصصات، ولكننا تكتفي هنا بتعريف مبسط يفيء بالغرض المطلوب يقول: بأنها المحصلة النهائية لتفاعل العديد من العوامل والمؤثرات على الإنسان منذ أن يتخلق في رحم أمه وخلال مسيرة حياته من الميلاد وحتى الممات، أو بمعنى أن الإنسان هو ابن البيئة والوراثة [8]بصورة عامة. اما الشخصية السودانية فإن ابوسليم يري أنها خلال مسيرتها التاريخية الطويلة تأثرت بعاملين اساسين:

الأول: البيئـات المتعـددة والمختلفـة. فداخـل بيئتـه الخاصـة يظهـر الإنسـان السـوداني ويأخـذ صورتـه المميـزة وينمـو فيهـا ويتطـور ويخلـق ثقافتـه الخاصةونظمـه المحليـة التـى تنظـم حياتـه وترتـب علاقتـه بغـيره.

الثـاني: العامـل الحضـاري الـذي يربـط هـذه البيئـات وبالتـالي يعطي للشخصية بعـدا جديدا وهـذا البعـد هـو محاولـة الإلتقـاء بالغـير والعيـش معـه دون التضحيـة بالفرديـة أو المـزاج الخـاص او الشـعور بالمحليـة أو الإعتـزاز بهـا[٩]. ويسـمي صـبري محمـد هـذا المـزاج الخـاص الـذي ذكـره ابوسـليم أو الخصوصيـة الثقافيـة المتعلقـة بالمنطقـة النوبيـة ضمـن تعريفاتـه وتصنيفاتـه لملامـح الشـخصية السـودانية بالشـخصية السـودانية النوبيـة[١٠] ولكـن إسـتهواني تعبـير فكـري أبـو القاسـم لأثـر المنطقـة النوبيـة بشـمال السـودان بثقافتهـا المفتوحـة والمتراكمـة عـلى الشـخصية النوبيـة بالمـزاج النـوبي [١١] - وهـو العنـوان الـذي إسـتعرته أعـلاه- ولعلنـا نستشـف ملامـح المـزاج النـوبي في شـخصية عـلى عثـمان بـين ثنايـا مـا قالـه فى إحـدي محاضراتـه؛»...وكثـير مـن الذيـن ظنـوا اننـي نـوبي قـح أو نـوبي متعصـب، سيندهشـون لحديثـي هـذا، هـذا لأننـا لم نتعمـق كثـيراً في التطـور التكوينـي الاجتماعـي للنوبيـين.

ومـا دخـل عليهـم مـن ثقافـة العروبـة ووصـل إلى شـخصية سـوية في رأيـي متكاملـة، بحيـث أن العـربي فخـور بأنـه عـربي، والمحـسي فخـور بأنـه محـسي، ويتعايشـان في اقليـم واحد،فنحـن تربينـا تربيـة مختلفـة جـداً، «مـا كان عندنـا زول عبـد وزول عـربي». وعندمـا خرجنـا مـن مجتمعنـا إلى مجتمـع أرحـب سـواء أكان عـلى مسـتوى الولايـة الشـمالية أو وادي سـيدنا، دخلنـا هـذا الوسـط بفكـرة المجتمـع، لا بفكـرة القبيلـة ولا الطـرق الصوفيـة ولا الحـزب السـياسي، فنحـن ختميـة في الاصـل، ولكـن المجتمـع تكـون مـن مجموعـات اجتماعيـة وأسسـها مختلفـة جـداً مـن أسـس تكويـن القبيلـة أو الطـرق الصوفيـة أو الاحـزاب السياسـية،...»[١٢]. فالنـوبي تجـده منتمـي لمنطقتـه لدرجـة التماهـي ومعنـز بثقافتـه حتـى لدرجـة التعصـب، ولكـن في نفـس الوقـت تجـده منفتـح عـلى الآخريـن ويحـترم خصوصياتهم الثقافيـة. فمكتـب البروفسـير/على عثـمان محمـد صالـح بقسـم الآثـار- جامعـة الخرطـوم عبـارة عـن منتـدى دائـم يلتقـي فيـه الأضـداد مـن مختلـف المشـارب السياسـية والاجتماعيـة والثقافيـة يختلفـون ويتفقـون في حضرتـه فهـو القاسـم المشـترك الـذى يلتقـي عنـده الجميـع يتعارفـون ويتآلفـون. وكان لـه أسـلوبه الخـاص فى التعريـف بـين حضـور مجلسـه اليومـي .في إحـدي المـرات عنـد دخـولي مكتبـه ومعـه مجموعـة مـن الحضـور وانـا عنـد البـاب ألقيـت عليهـم التحيـة وقبـل أن اجلـس ، رد عـلي بصوتـه الجهـوري وضحكتـه الطفوليـة المميـزة:» وعليـك السـلام، أهـلا بالدنقـلاوي الكافـر، لكـن واللـه فيـك شـوية ولايـة انـا كنـت منتظـر

جيتك تعال اقعد جنبي»، ثم وجه إلي حديثه مباشرة .وقال لي :» بتعرف ده -واشار إلي احدهم واجبته بالنفي- واصل حديثه ده دكتور أحمد المعتصم- رحمه آلله- مابيعجبوا العجب قرأ كتابك خلفاء مملكة المقرة، والغريبة أنو كتابك عجبو ، ثم توجه لأحمد المعتصم ضاحكا، ده عوض شبا صاحب الكتاب الكنت بتسأل منو. دنقلاوي بالو طويل مافي زول بيستحمل مساخة الرباطاب حقتك غيروا. كدى اقعدو مع بعض واتناقشو أنا حاسي بتطلعوا لينا حاجة كويسة « ثم واصل حديثه مع الآخرين. هذا هو عم علي- الاسم المعروف بين طلابه واحبابه- التواضع والبساطة والمباشرة في الحديث .رغم لوم البعض له في طريقته هذه في التعامل والحديث ولكني أظنه سمة من سمات النوبيين يخفون خلفه شخصية عظيمة وقد جدت هذا الأسلوب في التعامل مألوفا لدي منذ أول يوم قابلته فيه ولم إستهجنه، وكأنه مقتبس من مجالسنا في القرية. واستحضر هنا موقفا آخر، وهو عندما كنا في سنار ضمن إحدى الفعاليات العلمية لمشروع سنار عاصمة للثقافة الإسلامية عام2017م ، قابلت هناك الدكتور / هاشم سوداي من العراق ،تعرفت عليه أثناء بحثه عن من يتحدث لغة البرتا أو اللغة النوبية وذلك لترجمة نص عثماني مكتوب بإحدى اللغات السودانية فدلوه علي. توطدت علاقتى به وأثناء عودتنا إلي الخرطوم بعد نهاية المؤتمر بدأ يسألني عن الإثنيات والثقافات السودانية، وعن الثقافة النوبية وعن الزي النوبي- وكنت حينه ألبس جلابية وطاقية- ثم سألني عن أهم علماء التاريخ والآثار في السودان ،وعن عالم الآثار البروفسير/ على عثمان محمد صالح - يبدو أنه سمع به- قلت له عندما نصل الخرطوم إن شاء الله سوف اعرفك به؛ من حسن الحظ نزلنا من البص عند جامعة الخرطوم، ذهبنا مباشرة لمكتب البروفسير/ على عثمان ووجدناه جالسا وسط طلابه وحيرانه يمازحهم . قلت له:» ياعم على ده دكتور هاشم من العراق جاي يسلم عليك ويتعرف على النوبيين « .إندهش مضيفي من طريقة مخاطبتي لعالم جهير السيرة ولزيه البسيط جلبابه وطاقيته - عندها إبتسمت عندما قمت بمقارنة سريعة لزي عالمنا البسيط ولدكتور هاشم وهو في كامل أناقته بزيه الأفرنجي- فرد بتلقائية وود محبب وهو يضحك :» أهلا باخوانا في العراق. انا النوبة ذاتو داير شنو « هنا إرتبك دكتور هاشم وفطن عم على للأمر ووجه جلسائه بالخروج. وطلب من ضيفه الجلوس وأكرمه. وأخذ يحدثه عن السودان وتاريخه وآثاره، وسرعان ما تغيرت نظرة د. هاشم لعم على وعرف أنه يجالس إنسان غير عادي وعالم غزير المعرفة. وعندما خرجنا من عنده. لم يزد عن قوله لي مندهشا:» أنتم شعب غريب». وهنا نستأنس بما كتبه إبراهيم الدلال في تحليل عميق لهذه الثنائية في شخصية عم على:»... جمع بين

طاقيـة الشريـف الخاتـم وكاب تشـيني في محبـة لا تعـرف الفـوارق بـين المعـاني الإنسـانية فهـو مـن خلفـاء الشريـف الخاتـم وخليفـة شـيني في آن واحـد وهكـذا تكـون عظمـة الرجال ، مـن قناديـل الليـل ومـن أحبـاب الفقـراء والمسـاكين ورجـل ذكـر بامتيـاز مـن رآه بالنهـار وحُجـب بظاهـره ظنـه علمانيـاً ، يتسـتر بعلـم الآثـار وأوابـد الحضـارات القديمـة كـما كان الشـيخ محمـد محجـوب الـدوكالي - الـولي الكبـير - الـذي قـال عنـه أبوبكـر العتيـق : (وكان يتسـتر بصناعـة الحلـواء بمدينـة كنـو) ، كان الشـيخ الـدوكالي عارفـاً كبـيراً وكان متمكنـاً مـن صناعـة الكيميـاء وفي مقـدوره أن يحيـل النحـاس ذهبـاً ولكنـه آثـر صناعـة الحلـواء زهـداً في الدنيـا وسـتراً لحالـه مـع اللـه ، هـو مـن أرومـةٍ قـومٍ أنـا أسـميهم يواقيـت السـودان إنهـم المحـس - النوبـة - والخـزرج - والعروبـة - والإفريقانيـة - والحضـارة في أسـمى معانيهـا .

العمـل معـه أشـبه بالوجـد الصـوفي الشـفيف وهـو رجـل صاحـب مرايـا كاشـفة مـن أحبـه نسـبه إلى الكشـف الصـوفي ومـن لا يحبـه يعتـبره أرواحـي عـلى علاقـة بالجـن و (النزازيـل) وهـو بـين هـذا وذاك إنسـان أروع مـا يكـون الإنسـان .

عـلي عثـمان سـفرٍ نفيـس جمـع بـين دفتيـه تاريـخ الحضـارة السـودانية بـكل جمالهـا وسـماحتها مـن العصـور الحجريـة مـروراً بكـوش الخالـدة ومـروي الأفـق المفتـوح عـلى إفريقيـا والعـالم إلى رهبانيـة المسـيحية الرائعـة المسـالمة إلى إشراق الإسـلام الحنيـف ، هـو رجـل ممتلـئ بروحانيـة الطبقـات التـي هـي عـين روحانيـة السـودان هـذا الوطـن العـربي الإفريقـي ذو المعجونـة النـادرة ، إنـه ابـن هـذا الشـعب الإكسـير ذي الكيميـاء المتفـردة - تربـال وعلامـة ورجـل تكايـا ودرويـش بطـران ، بسـيط إلى درجـة الطفولـة صعـب المراقـي إذا جالـس كبـار العلـماء وزاحمهـم في آفـاق مـدارات المعـارف العاليـة .. جمـع فأوعـى وشرب عصـارة المعـارف ونفـذ إلى الخلاصـات...»[13].

ملاحظات أولية لسيرته العلمية والفكرية:

مـن المؤكـد أن السـيرة العلميـة للبروفسـير/ عـلى عثـمان محمـد صالـح قـد أخـذت حيـزا كبـيرا في كتابـات وتحليـلات لمـن تصـدى لتوثيـق حياتـه ، ولكـن ظننـا فى هـذا الجـزء أننـا قـد نلـج بابـا غـير مطـروق في هـذا المجـال، وهـو أثـر المـكان والبيئـة أو المـزاج النـوبي في توجهـات عـلى عثـمان العلميـة والفكرية.ولـد عـلى عثـمان في منطقـة عريقـة ضاربـة بجذورهـا في التاريـخ وغنيـة بتراثهـا وأثارهـا، وتـشرب منـذ نعومـة أظفـاره حـب التاريـخ والآثـار وهـو يسـتمع لحـكاوي الأبـاء والأمهـات والأجـداد والجـدات لعظمـة إنسـان هـذا المنطقـة منـذ فجـر التاريـخ .وكان مـن بـين ملاعـب طفولتـه المواقـع الآثريـة التـى تعـج بهـا المنطقـة مغطيـة كل الفـترات التاريخيـة منـذ العصـور الحجريـة ثـم الحضـارات العظيمـة والمدنيـات القديمـة التـى آثارهـا عنهـا، مـرورا بالفـترة المسـيحية بكنائسـها العريقـة وطزرهـا

المعمارية المختلقة وحتي الفترة الإسلامية بقبابها التى تناطح أشجار النخيل السامقة. كان الطفل على ينظر إليها بتعجب حينا ويتأمل حينا آخر هذا التواصل الحضاري والإستمرارية الثقافية الماثلة أمامه منذ آلاف السنين من الزمان.

في عام 1965م التحق الطالب على عثمان بكلية الآداب-جامعة الخرطوم، وتبارى عليه أساتذة الجامعة كل يحاول يضمه إلي التخصص الذى يدرسه وذلك لما بدر من نبوغه ولكن كانت للذاكرة الطفولة دور حاسم في إختياره للتخصص في الآثار وفي إختيار تخصصه الدقيق في مرحلتي الماجستير والدكتوراه عن الفترة المسيحية النوبية وآثارها، أو ما يعرف بالعصر الوسيط في تاريخ السوداني.

بعد نيله للدكتوراة قدم واحدة من أهم الأطروحات الآثارية السودانية وهي علم الآثار الوطني أو المدرسة الآثارية الوطنية؛ وبدأ تنفيذ هذا المشروع الآثاري بمنطقة المحس الموسوم ب(المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس) . ومن الواضح هنا تأثير مكان الميلاد والنشأة على إختياره لهذه المنطقة كحقل ميداني لمشروعه كون علمه بتفاصيلها من ناحية. وبسبب ذاكرة النشاة التي إختزنت الكثير من الروايات الشفاهية وخاصة الفترة المسيحية وما يتعلق بمراسم التتويح الملكي في جبل سيسة وغيرها التى كان يرويها لنا من ناحية أخرى. وتشير رحاب شمبول-في ورقة قيد النشر - الي ان البروفيسور على عثمان خصص كثيرا من المقالات والمنشورات العلمية عن منطقة النوبة التى ينتمى اليها لأنه تشرب بثقافتها المحلية ويتحدث بلسانها وعاش بين اهلها فكان نتاج ذلك اعمال فكره فى قضاياها وخصوصيتها فى ماضيها وحاضرها واستعرضت بعضا من الكتابات المخصصة للمنطقة والتى اخذت حيزا مهما على قائمة الانتاج العلمى لبروفيسور على عثمان منها:

- New Kingdom and Kushite Sites in the Third Cataract Region , Sudanese Nubia
- A sketch of Political History of the Medieval Nubian Kingdoms.
- The Post - Medieval Kingdom of Kokka : A means of A Better Understanding of the Administration of the Medieval Kingdom of Dongola.
- Nubia The Origins and Meanings .
- Medieval Nubia : Retrospect s and Introspects.
- Eskale Water Wheel in the Eyes of A Nubian .

- Nubian Culture in the 20th century comments on Session 15 .
- Archaeology and Settlement in the Third Cataract Region .
- Abu Fatima ; A Nubian Settlement From the Times of Kerma to Modern Times.
- Place – Names as Evidence of History ; The Case of Historic Nubia anditsLanguage.

- القضية النوبية فى إطار القومية السودانية
- مشكيلة ونورى : المعانى والدلالات[١٤].

وخلاصة القول فى ملاحظاتنا هذه وفق الإشارات المقتضبة- أعلاها- أن بيئة النشأة كان مؤثرا فى تشكيل الشخصية الأكاديمية العلمية للبروفسير على عثمان محمد صالح.

الخاتمة:

في نهاية هذه الورقة الموجزة التى نأمل أن لا تكون مخلة في إلقاءها بعض الضؤ في سيرة عالم الآثار السوداني البروفسير/ على عثمان محمد صالح وتناولت ملاحظات وإحالات على هامش سيرة ميلاده جلها من وحي معاشرتي له. وهنا أتذكر جيدا أول لقاء معه عام ٢٠٠١م عندما وانا أعد لرسالة الماجستير أرسلني إليه أستاذى البروفسير/ عمر حاج الزاكي ليناقشني في موضوع رسالتى قابلني يومها بوجه متجهم وحديث خشن فصبرت عليه على حسب وصية أستاذي(ما تزعل منو) وبعدها مازحني قائلا:» كنت بختبر صبرك ونوبيتك واشوفك لو بتنفع معاي والحمد لله نجحت « ، وجلست معه ما يقارب الساعتين من الزمن ويومها علمني ثلاثة كلمات لن أنساها: « يا ابني عند.دراستك للتاريخ النوبي لا تخلط بين اللغة والدين والإثنية».

خلصت الورقة للقول بأن كان لمكان ميلاد ونشاة البروفسير/ على عثمان محمد صالح أثر واضح في تكوين ملامح شخصيته وفي مسيرته العلمية والفكرية. وتوصي الدراسة بالآتي: ١.أهمية إجراء مزيد الدراسات للرموز والرواد والعلماء في السودان والوطن العربي للإستفادة من تجاربهم. ٢.ضرورة تكاتف الجهود والتعاون بين المؤسسات العلمية والإكاديمية في المنطقة لإنجاح هذا المشروع التوثيقي .

صورة رقم(1) منظر عام لمشكيلا





صورة رقم(2) جبل نوري

صورة رقم (3)مسيد حاجينكي القديم





صورة رقم (4) تخريج علي عثمان في كلية الآداب - جامعة الخرطوم



صورة رقم (5)تجمع
علي عثمان مع إبن عمه. شرف
الدين عبدالعزيز أيام المرحلة
الثانوية



صور رقم (6)علي عثمان فى الجامعة



صورة رقم(7)علي عثمان في مناسبة إجتماعية



صورة رقم (8)علي عثمان مع زوجته نعيمة



صورة رقم(9)تجمع الكاتب مع البروفسور/ علي عثمان محمد صالح

الهوامش:

(1)صدر لي كتابان نهاية عام 2021م، وهما:

(2)المهدي في لبب(دراسة حول أثر المكان في تكوين الشخصية)

(3)الزعيم عبد الكريم عبد الجبار(إتكاءة على التاريخ الإجتماعي النوبي الحديث)

(4)ومقال منشور عن المكون الدينى للشخصية القيادية السودانية، شكلت هذه الدراسات الإطار النظري والمرجعي لهذه الورقة.

(5)المصدر الأساسي لهذه الورقة هو مقابلاتي وإتصالاتي الهاتفية مع البروفسير/علي عثمان محمد صالح التى إمتدت خلال السنين وحتي تاريخ كتابة هذه الورقة.

(6) سهام على الجميلي، علم نفس الطفولة،(بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-هيئة المعاهد الفنية،1990م)، ص148.

(7)على عثمان محمد صالح،المصدر السابق

(8)الموسوعة العلمية

(9)شيخ الدين مختار محمد هاشم، تخصص علم الاجتماع-دكتوراه قيد المناقشة، العمر ٧٠عام، متواجد بالقاهرة تواصلت معه لإفادتي ببعض المعلومات لكتابة هذه الورقة وامدنى مشكورا أيضا بالصور الموجودة في الملاحق.

(10)على عثمان محمد صالح، المصدر السابق.

(11)مجيد محمد عارف،الأنثروبولوجيا التربوية،(بغداد: كلية الآداب-جامعة بغداد،1990م)، ص14.

(12) محمد إبراهيم أبو سليم، فى الشخصية السودانية،(الخرطوم: مركز أبوسليم للدراسات،2004م)،ص 2.

(13)صبري محمد خليل، عن الشخصية السودانية- دراسة منهجية للمظاهر الفكرية والسلوكية للشخصية السودانية،(الخرطوم: هيئة الخرطوم للصحافة والنشر،2008م)، كتاب الخرطوم الجديدة(14).

(14)فكري أبو القاسم، حلفا الجديدة الخطيئة والقربان،(الخرطوم،2000م)، ص46.

(15)على عثمان محمد صالح، محاضرة بعنوان: رحلتي من القبيلة إلى المواطنة، https://alnssabon.com

(16)ابراهيم الدلال ، العلامة على عثمان محمد صالح- صوفي في محراب الآثار، sudanile,https//sudarees

(17)رحاب شمبول مصعب مساعد، إضاءة على كتابات البروفسير/ على عثمان محمد صالح العلمية المنشورة،(ورقة علمية قيد النشر).

الفصل الثاني

(سيرة النهر النوبي)
البروفسير علي عثمان محمد صالح
عالم ومفكر الآثار السوداني

(سيرة النهر النوبي)
البروفسير علي عثمان محمد صالح
عالم ومفكر الآثار السوداني

د. جعفر محمد مصطفى أبوزيد جامعة الزعيم الأزهري

مقدمة:

سيرة البروفسير علي عثمان محمد صالح هي سيرة النهر المتدفق في الحضارة السودانية والثروة القومية الكامنه التي تحتاج الكشف والتنقيب العلمي والمعرفي من أجل توثيق ذاكرة الزمان السوداني عن الشخوص قبل المعالم والانسانية قبل المواقع والاثار الشاخصة ، وذلك من استدعاء الأعمال العلمية والمعرفية والكشفية في التاريخ السوداني وتجلية الذواكر المجتمعية في ظل التقانه والحفظ التكنولوجي للمعرفه والاستنطاق والكتابه عن الشواهد المعرفية الحية لكي تعرف قدرها ومقدارها في حياتها لا الشكر الذي تحمله نواعي الموتى في السودان حسب العادات والتقاليد الصدئه ومن هنا كانت التعبير عن العلماء وهم شهود بيننا .

والكتابة عن العلماء والمفكرين من طينة بن حوقل والرازي والادريسي والفارابي وبن خلدون وارسطو وسقراط وماجلان وادم اسمث بتعدد العلوم والازمان والتاريخ ترتيب فكر وضمان علمي وحقوق ملكية وتحقق تطبيقي وميداني في اعطاء الحقوق لاهلها والعوده الى الجذور من احياء ثقافة الشكر والاحسان الانساني السوداني وتغيير فتنة الاجنبي والخرق العلمي والابداع المزيف (من واقع زامر الحي الحي لايطرب) وتناقلت الالسن والكتابات علم افلاطون منذ الاف السنين وحجبت العلوم تغطية فكر المفكرين المعاصرين الذين مازالوا يرفدون المسيرة العلمية بالعديد من النظريات والرويات التاريخية من خلال الواقع والتجربة الفكرية الرشيدة .

نشأ فتى الشمال النوبي في بساتين النخيل وحقول القمح في الشمال السوداني

مـن سـلالة جـدة لـلأم تحفـظ القـرآن بسـبع رويـات رغـم الاميـة السـائدة في ذلـك الزمـان مـع مرافقـة اللهجـات المحليـة للغـه العربيـة في تلـك البيئـات الجغرافيـة ، وتقـع الشـخصية (عـم عـلي) كـما يحلـو لناطقيهـا بـين التاريـخ النـوبي المتجـذر في معرفتـه وآدابـه وقيمـه ، اذا كان في التاريـخ المسـيحي او في الاسـلام وكذلـك في اسـلام الطبقـات الـذي يمثـل الروحانيـة السـودانية في أسـمى معانيهـا ، والشـعب النـوبي هـو البوابـه الحقيقيـه للمـد الاسلامي عـب الحـوار والتفـاوض بعـد توثيـق (رمـاة الحـدق) لبسـالة المداخـل والمعابـر التاريخيـة في السـودان عـبر اتفاقيـة البقـط بـين المسـلمين والمجتمـع النـوبي .

ونجـد صاحـب الكتابـة جالـس النوبـه وراطنهـم وآنـس العروبـه فسـايدهم بخـبرة الآثـاري والتاريخـي والمنظـر في الشـأن السـوداني وبحـر المعرفـة الحضاريـة والترجمـه التـي ضلـت البحـث العلمـي والمعـرفي ؟، وسـاهمت نظريـات التاريـخ النـوبي الكشـفية في تجليـة أغـوار وعمـق الأصـول مـن المعرفـة الرصينـه في السـودان يعـود ذلـك للمكانـه العظيمـه بـين الأمـم والحضـارات المتأصلـه في عبـق التاريـخ العالمـي ، فوجـد الرسـومات والنقـوش والجداريـات والأدوات والآلات والمـدن المطمـورة في كثبـان الرمـال والجـزر المعزولـة والصحـارى القاحلـة الجـرداء وهجـير الشـمس الحارقـة وغربـة الراعـي في الغياهـب المظلمـه في المعـالم السـودانية المندثـرة والمتسـترة بغطـاء الارث المجتمعـي المسـتدام في جـذور الثقافـة العالميـة لربطهـا بالحـاضر المعـاصر لرسـم المسـتقبل التنمـوي المتعـثر وتحريـك العجلـة والـتروس اسـتدامه النمـو الاقتصـادي والاجتماعـي والسـياسي والبيئـي والثقـافي والحضـاري في السـودان وربـط المركـز السـوداني مـع حضـارة سـبأ وعيزانـا وأكسـوم وبابـل وحضـارة بـلاد النيـل النهـر العظيـم وكـوش ومـروي وامتـداد الاثـر النـوبي الى زنجبـار ونهـر السـنغال والحـوض الموريتـاني وتخطيـه للبحـر الأحمـر والمتوسـط وبـلاد الرافديـن ، ويظهـر ذلـك جليـاً في القامـوس السـواحيلي وغيرهـا مـن اللغـات واللهجـات المحليـة الافريقيـة .

ويمكـن القـول أن صاحـب السـفر الطويـل والنفيـس (عـم عـلي) الـذي جمـع بـين علـماء ومفكـري الآثـار السـودانيين الذيـن خبرنـا علمهـم وتجربتهـم ومعرفتهـم بـين طلابهـم والحقـول الميدانيـة للتنقيـب والكشـف عـن بواطـن الحضـارة الغامضـه والمجتمعات غـير الناطقـة والتـي تحتـاج الاسـتنطاق البـشري لفـك الطلاسـم والـورد والـوارد ، و عـلي عثـمان محمـد صالـح تغـور في ردهـات الحضـارة السـودانية بـكل سـماحتها مـن العصـور الحجريـة مـروراً بكـوش الخالـدة ومـروي الأفـق المفتـوح عـلى افريقيـا والعـالم مـن رهبانيـة النصـارى وحتـى اشراق الاسـلام الحـق ، فهـو رجـل ممتلـئ ومسـكون بروحانيـة الطبقـات التـي تمثـل عـين وروح السـودان هـذا الوطـن العـربي الافريقـي الاصيـل ذو المعجـون المتفـرد مـن المجتمعـات المعـاصرة إنـه ابـن هـذا الشـعب الاكسـير ذي الكيميـاء المتفاعلـة فهـو

التربـال والعلامـه والبسـاطه الى درجـة مجالسـة الجزئيـات قبـل الكليـات والبسـطاء قبـل العلـماء والطـلاب قبـل المفكريـن فزاحـم في آفـاق ومـدارات المعـارف العاليـة فجمـع وحصـد ونفـذ الى الخلاصـات فصـار عـلى حـد قـول بـدوي الجبـل : (نقـل برشـد)

وأوجز في قارورة العطر روضة
واوجز في قوارير الرحيق المختوم

أذهـل كاتبنـا الخواجـات وأثنـى عليـه الـرواد والاوائـل مـن آدامـز وخلفـه تشـيني واحترمـه شـارلس بونيـه وتنبـأ لـه أسـتاذه هيكـول بمسـتقبل رائـع ووضعتـه كامـبردج في سـجلها التوثيقـي الـذي يحـوي 2000 عـالم أثـري في القـرن الحـادي والعشريـن ، جمـع بـين طاقيـة الشريـف الخاتـم والاتحـادي المطبـوع وكاب تشـيني في محبـة لا تعـرف الفـوارق بـين المعـاني الانسـانية ، وهكـذا تكـون عظمـة النـثر المعـرفي بتلفحـه لثـوب الاثـاري وأوابـد الحضـارات القديمـه بـين الأسـلاف كـما كان الشـخ محمـد محجـوب الـدوكالي الـولي الكبـير وهـو عـارف كبـير وهـو متمكـن مـن صناعـة الاحـداث يحيـل النحـاس زهـداً في الدنيا وسـتراً وهـو مـن طينـة قـوم نسـميهم المحـس النوبـة وخـزرج العروبـه والافريانيـة والحضـارة في اسـمى معانيهـا .

ومنسـوب هـذه المعـاني لايسـتطيع الـيراع أن يعطيـه حقـه ولا توفيـه الكلـمات علمـه لكـن واجـب التغيـيرات في الفكـر المكتـوب في السـودان تحتـم اسـتنطاق ثقافـة وأدب التوثيـق للشـخصية السـودانية مـن خـلال السـيرة العطـرة والزاخـرة في القيـم السياسـية والارث الثقـافي والحضـاري الـذي تشـوبه الضبابيـة في الشـخوص والمعـالم والمصـادر والمنابـع والأصـول والكشـف الحقيقـي في مدرجـات العلـماء والمنظريـن السـودانيين وهـم بيننـا رغـم الاعاقـة المجتمعيـة في حفـظ وحمايـة الارث الانسـاني وتكريـم الانسـان الـذي كرمـه ربـه خالقـه فكيـف تدفـن الشـواخص والمعـالم والشـواهد البشريـة لهـذا لابـد مـن تواصـل المسـيرة الكشـفية في النظريـة التاريخيـة مـن بوابـة العـودة الى جـذور بـن خلـود منظـر التاريـخ الاجتماعـي البـشري في العـالم لإضـاءة هـؤلاء العلـماء والمراصـد العلميـة لي يشـهدوا احسـانهم بأنفسـهم مـن بوابـة رد الجميـل الادبي والاحسـان بـدل الاحسـان وإزالـة قيـم ثقافـة الشـكر بعـد المـمات .

كرمتـه الكثـير مـن المؤسسـات العلميـة والرسـمية في الداخـل والخـارج منهـا وزارة الثقافـة في اطـار البرنـامج المصاحـب لمعـرض الخرطـوم الـدولي للكتـاب فهـو صـوفي في محـراب الحضـارة السـودانية ، فقـدم جهـود علميـة في محاضراتـه وسـمناراته العامـه والخاصـة عـن

(رحلتي بين القبيلة الى المواطنه) وقد شارك في منصة أريدا td Arid Scientific L

وهـي مؤسسـة غـير ربحيـة مسـجلة في بريطانيـا يمكن التسـجيل فيهـا مجانـاً لتحقيق أهـداف علميـة متعـدده الأوجـه ، وقـد تـم إنشـاؤها مـن قبـل عـدد مـن الباحثـين والخـبراء المهتمـين بشـؤون تطويـر قـدرات وطاقـات وإمكانـات البحـث العلمـي وتوسـيع فـرص واسـتثمار ميزاتـه بموقـع

Info @arid –my London – UK - ECIV@X 2022

وفي أحـد لقاءاتـه العلميـة مخاطبـاً الشـباب بـأن هـذه الأرض هـي جـزء مـن الحضـارات العالميـة ويقـول دومـاً يتعلـق الانسـان بماضيـه

والحنـين الـه حيـث يمثـل نقطـة الاسـتنارة ومصـدر القـوة والتخطيـط والـثروة إذا أحسـن الاسـتغلال للتنميـة المسـتدامه لذلـك لابـد مـن أن لا نتخلـى عنـه حسـبقوله ، ويجب أن يـدرك كافـة الفئـات خاصـة الشـباب أنـه هـو صاحـب ذلـك الارث الاثـري وحارسـه الامـين فمـن واجبـه حمايتـه وصونـه والمحافظـه عليـه مـن أجـل الآخريـن ، خاصـة أن ذلـك يمثـل ذاكـرة الأمـه لا تكـون عـلى اتصـال حـي بماضيهـا تكـون شـجرة فصلـت عـن جذورهـا وموتهـا السريـع ، وفي البونـه الأخـيرة تغـيرت كثـيراً كافـة الأمكنـه .

ثـم دلـف إلى قراءاتـه في علـم الآثـار غـير التقليديـة والمفاهيـم الحديثـه لاصـول علـم الآثـار ونظرياتـه وتعريفاتـه وتفسـيراته وكشـوفاته وأهميتـه وأصـل الحضـارة السـودانيه ، فهـو عـلى حـد قولـه علـم ميـداني يفسر الانتـماء الى كل ماهـو جميـل وكل ماهـو حديـث وقديـم سـحيق القـدم بالانتـماء الى الـذات والانتـماء الى الآخـر ونفـس الوقـت يحتـاج الى خيـال واسـع يجعـل الملتقـى لهـذا العلـم لديـه القـدرة على الرجـوع لازمـان سـحيقه ويتخيل تركيبـة المجتمعـات ورغباتهـم الشـخصية والفرديـة وعلاقـة الانسـان ويحيـط بـه مـن الارض والنبـات والحيـوان والجـمادات وغيرهـا مـن البيئـات المحيطـه بالانسـان .

ويكـون لديـه مـن الخيـال مايسـتطيع أن يركـب حيـاة متكاملـة الفصـول دون الدخـول في كل زخـم التطـور التقنـي والمـدني والسـياسي الـذي يـؤدي الى الحـروب والنزاعـات وهضـم الحقـوق الانسـانية والعسـكراتية التـي تحكـم المجتمعـات المعـاصرة بقوانينهـا ومـدى تدخلهـا وتحكمهـا والضغـوط المفروضـه أكـثر مـن الرغبـة الوجدانيـة في التعـرف عـلى القـوى الأعـلى ،وفي قولـه لـكل علـم شروط أو صفـات يجـب أن يتحـلى بهـا أهـل الاختصـاص فـما هـي الصفـات التـي لابـد أن يتصـف بهـا الآثـاري :

في بـادئ الأمـر علـم الآثـار علـم اجتماعـي يعيـش في الميـدان ويجـب أن يكـون كـئن حـي اجتماعـي بامتيـاز قـادر عـلى أن يعيـش مـع الآخريـن ويتكيـف مـع صفـات الآخريـن ، وهـو سريـع البديهـه وخفيـف الظـل بحيـث أن اسـتمرارية العمـل الميـداني يـؤدي الى السـام

والملل وتكون أفراد الفرق العلمية مهتمون بأمر جلب الفرح فيما بينهم وتزداد أواصر الصدق والود وروح الفريق بينهم والامتزاج العلمي والصهر المعرفي الحقيقي ويعني ذلك بذل الشحنات الوجدانية دون انتظار الثمن والايمان بالرث الثقافي والحضاري ، وعالم الآثار على حسب قول (عم علي) بيده الأمانه العلمية القاسيه كما الطبيب الجراح الذي يجرح الأزمان والمكان ولأن مايقوله عالم الآثار ستتناقله الأجيال وتبني عليها النظريات العلمية والأعمال والمشاريع على حد القول في علم الآثار ومواصفات مرتاديه .

وتكمن أهمية علم الآثار في حديث عالمنا (مثلما الأهل عزوالآثارعز) وهي مازالت الى الآن المصدر الحقيق للمعلومه لأي مواطن في أي مكان من الأهمية القومية من أجل توضيح الهويه السودانية والاهمية الاقتصادية التي تتمثل في الحفاظ عليها لتحقيق التنمية السياحية المستدامهSustainable Development Tourismوكذلك الأهمية التاريخية والمتمثله في الوعي بأنها لاتعمل على تشكيل تاريخ الأمه اضافة الى الدور الثقافي للعلم والمؤسس للثقافه المادية والمعنوية ، ويضيف الدور الاجتماعي للآثار لتوصيح أصول المجتمعات القديمه .

وتجول عالمنا ونتجول به في السيرة العطرة في رؤيته حول دور العلم في المناهج الدراسيه التعليميه في مدى الوعي وغرس القيم والثقافه وبالتاكيد كما هو في الولايات المتحده تم تكوين فريق مهمته يمر على مدارس الأطفال بمراحله المختلفه لإستطلاعهم بطرح سؤال ماذا تريد عندما تكبر ؟ فكانت الاجابه لأحدهم بمرحلة الاساس ان يكون عالم آثار ، وطفله اخرى تريد أن تكون كاتبه وللأهمية لابد من وجود علم الآثار في المناهج التعليميه الاولية وتصبح احد المواد المشكلة للشهاده السودانية ، وعن كيف يكون للشباب دور في العناية بالآثار السودانية لهذا يحثهم كاتبنا على أن يكونوا مبدعين في كافة المجالات مثل التشكيل والتمثيل والمسرح والنكات والطرفه والموسيقى وغيرها من مجالات الدفع الثقافي للأمم والقدرة على تحويل الضيق والمآسي الى ابداع ومثال ذلك صعوبة خروج الفرق البحثيه السودانيه من حادثة العالم الشاب(أمجد بشير علي خالد *) الذي وافته المنيه أثر حادث حركه أليم أثناء أداءه لواجب الوطني في التنقيب عن البحث العلمي لحضارة الأمه السوانيه وبفقده تلفحت الآثار السودانية بثوب السواد عن العمل الميداني والعزله البحثيه لأنه من الشباب والأبناء الذين تربوا في كنف الحقول العلمية الميدانيه مابين جامعةشندي والخرطوم والتطواف الحقلي في المواقع الأثريه السودانيه وهو في مهد وريعان عمره العلمي والمعرفي وهو المكتشف لبواطن الحضارة السوادانيه في مقتبل حياته معطون بأصول التربية والقيم

مـن مجتمعـه في ضواحـي شـمال بحـري بمنطقـة ودرمـلي المنكوبـه مـن بعـده مـن الوجـود النيـلي وقـرى الضفـاف (هبـة وعـرس النيـل الخالـد 2019م) والتـي كان يحمـل همهـا وحزنهـا ومسـتقبلها ورعايـة خدماتهـا وكيفيـة تنميتهـا وإصـلاح حالهـا كإحـدى القـرى الحالمـه عـلى النهـر الخالـد .

وبحديثـه عـن ملتقـى النيلـين في الخرطـوم ووجـه الاسـتثمار السـياحي في السـودان لانـه وطـن تراثـه وثقافتـه وعاداتـه وتقاليـده وإنسـانه بقـد خمسـين ألـف عـام مـن التاريـخ الانسـاني ، وغـذا نظـرت الى كل الوطـان في العـالم لـن تجـد لـه مثيـل وهـو يحـس بالكثـير مـن الحـزن عـلى السـخط الـذي يجـده الوطـن مـن الشـباب بسـبب حالـة البـؤس والشـقاء التـي تطغـي عـلى السـاحه ، وهـو في رؤيتـه السـخط عـلى السياسـه والحكومـات لا يـلازم السـخط عـلى الأوطـان ويـرى لابـد مـن حمـد الاوطـان والشـكر عـلى النعـم الكامنـه بهـا .

وفي رؤيتـه أن علـم الآثـار تملكـه الشـعراء والقريحـه الادبيـة بالقصائـد والنـثر والادب والأشـعار ، وهـو علـم يبحـث أعـماق الارض وعمـق البشريـه وهـو العلـم الـذي اذا حذقـه الانسـان علمـه كيـف يكـون انسـان كامـل الانسـانيه واضـح المقصـد بـين الاسـلوب وقـوة الاداء والرقـه كالنسـيم وهـو مسـؤويه انسـانية مـن خـلال التعـرف عـلى الحيـاة الغابـره للامـم والاعتبـار ومتبعـة تسلسـل البنـاء الوطنـي والحـدة الوطنيـة المعتمـدة القيم الراسـخه والارث التليـد .

رسـخ عالمنـا الجليـل الكثـي مـن الفكـر الكشـفي للحضـارة السـودانية بنظـرة متقـده لا تبنـي الدراسـة الافتراضيـة التقليديـة ولا الروايـات الخياليـه والعلـم الحتمـي لكـن تدثـر بالامكانيـة الانسـانية في التحقـق مـن الوقائـع والاحـداث والمقتنيـات والمعـالم الشـاخصه وكيفيـة الاسـتفاده منهـا في بنـاء المسـتقبل الحضـاري السـوداني ولاعـلاء قيـم الانتـماء الي الأصـول مـن رفـد الوحـده الوطنيـة وحمايـة الارث التاريخـي وتعميـق ثقافـة الجـذور الراسخه في العمـق مابـين الأرض والحضـارة والذاكـرة الحيـة المنقولـه عـبر الأجيـال والأزمنـه والاحـداث المتكـررة والمتسلسـله والمتجـدده في كل الجـالات الحياتيـه السـوداني اجتماعيـاً واقتصاديـاً وسياسـياً وثقافيـاً وبيئيـاً لتدعيـم المخططـات التنمويـة المبدعـه في هـذا الوطـن المعطـون بالنـماء والزاخـر بشـخوصه وذاكرتـه الحيـة وهـذا قليـل مـن كثـير وقطـرة مـن نهـر جـاري وومضـة مـن نـور سـاري وحفنـة مـن تـراب وعبـق الأمـه .(عـم عـلى) .

الفصل الثالث

بروفيسور علي عثمان محمد صالح
رائد علم الآثار الوطني في السودان

بروفيسور علي عثمان محمد صالح
رائد علم الآثار الوطني في السودان

د. محمد البدري سليمان بشير

قسم الآثار- كلية الآداب

جامعة الخرطوم

مقدمة:

مرت عمليات الكشف الأثري في السودان بالعديد من المراحل، بدءاً بمرحلة المؤرخين الكلاسيكيين، ثم أعقبتها مرحلة الرحالة المحدثين، ثم مرحلة الكشف والبحوث الآثارية المنظمة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وقد اختلفت منهجية وطرق ووسائل البحث الآثاري في السودان وفقاً لاختلاف الحقب الزمنية وما طرأ من تطورات على علم الآثار من جهة أخري[1].

وقد شهد الكثير من وادي النيل النوبي دراسة آثارية خلال القرن العشرين كنتيجة لبناء السدود المتتالية على النيل في أسوان[2]والتي كان لها الأثر البارز في رسم الملامح الآثارية والثقافية العامة للسودان القديم، وقد تمت معظم هذه الدراسات وفق رؤية مدرسة علم المصريات والتي بنيت فرضياتها لدراسة الحضارة السودانية على أنها امتداد لمصر مما أدي للعديد من القصور فيما يتعلق بفهم وتفسير المعطيات الآثارية والثقافية بتلك الفترة، ودون ذلك تفسيرات عالم الآثار الأمريكي جورج رايزنر لأُصول أسرة نبته الملكية المدفونة بمنطقة الكرو، وقد وجهت هذه التفسيرات الخاطئة الدراسات السودانية القديمة لمدى طويل من الزمن وألقت بظلالها على الفهم الثقافي العام. ومن ذلك تنال فكرة علم الآثار الوطني عبقريتها بطرحها لحلول وتفسيرات مبنية على الفهم المحلي للآثار والثقافة السودانية. وفيما يلي تناقش الورقة فكرة علم الآثار الوطني وتطبيقاته الميدانية.

أولاً: الخلفية الأكاديمية لرائد فكرة علم الآثار الوطني:

تخرج البروفيسور علي عثمان محمد صالح بدرجة بكلاريوس الشرف في علم الاثار والتاريخ،المرتبة الأولي امتياز من قسم التاريخ كلية الاداب ، جامعة الخرطوم عام 1970م. وتحصل على درجة ماجستير الاداب في علم الاثار ، من كلية العلوم الاجتماعية- بجامعة كالقري - ألبرتا - كندا عام 1973م، ومن ثم تحصل على درجة دكتوراه الفلسفة في علم الدراسات الشرقية وعلم الاثار التاريخي من كلية الدراسات الشرقية وكلية كرايست - جامعة كمبرج - بالمملكة المتحدة1978م، وعاد بعدها للعمل بقسم الآثار متدرجا في وظائفه الأكاديمية من مساعد تدريس 1970-1978م وحتى بروفيسور عام 2000م. خلال هذه الفترة تركزت مجالات بحثه وتدريسه فيآثار وتاريخ ثقافات وحضارات افريقيا والشرق الأدني، العمل الميداني الآثاري بكل فروعه وتخصصاته، تقنيات وتطبيقات ادارة المصادر الآثارية والثقافية، بجانب السياحية الآثارية، وآثار وتاريخ ولغات وتراث الحضارة النوبية.

أسهم اختلاف المدارس الفكرية التي تدرج عليها البروفيسور على عثمان مابين كندا وانجلترا، واهتمامه بالفكر والثقافة القومية، اضافة الى خلفيته النوبية بشكل كبير في تكوين شخصيته العلمية التي ظهرت جليا في فكرة علم الآثار الوطني والتي سنناقشها بشئ من التفصيل.

ثانياً: علم الآثار الوطني: مفهومه وعناصره الأساسية:

يعني علم الآثار الوطني مجموعة أفكار ومناهج، أسس وتجارب حقلية لدراسة الآثار السودانية وتفسيرها، وهي مدرسة فكرية تميزت باستيعابها لكافة أطروحات المدارس الأجنبية التي عملت في السودان خلال قرنين من الزمان. ومن المعلوم أنه لكل مرحلة تاريخية مفاهيم وأفكار جديدة تتغير بمرور الزمان، وبعد أن كانت مناهج المدارس القديمة بمثابة الدليل الأوحد لتفسير المعطيات الأثرية في السودان وفق مناهج غربية أضحت هناك حوجة ماسة لإيجاد بعض التفسيرات المنطقية للظواهر الثقافية السودانية والتي لم تتناولها تلك المدارس او غضت الطرف عنها، وتشمل تلك التفسيرات مجمل الثقافات القديمة وتداخلها وحدودها، حيث اصبح تقسيم التاريخ الثقافي السوداني والآثاري والذي صنف بواسطة هذه المدارس يحمل الكثير من أوجه القصور. لذلك كان لابد من وجود آلية لدراسة الآثار والثقافة السودانية وتفسير

الظاهـرة السـودانية برؤيـة وطنيـة بعيـدا عـن المؤاثـرات الأجنبيـة لدراسـة تلـك الظاهـرة وتفسـيرها.

تـم تجسـيد المدرسـة الآثاريـة السـودانية لأول مـرة في مقـال كتبـه البروفيسـور عـلي عثـمان بعنـوان «Archaeology in the Sudan» في عـام 1981م لـدى مؤتمـر الدراسـات الأفريقيـة نحـو الثمانينـات والـذي نظمتـه الجمعيـة الكنديـة(3). ومقـال آخر نـشره عـام 1993م بعنـوان (4) (Nationalist Archaeology The Case of the Sudan)، تنـاول المقـال الأول المـدارس الآثاريـة في السـودان والتـي تـم حصرهـا في مدرسـتين هـما علـم المصريـات في الشـمال ومدرسـة مـا قبـل التاريـخ في الوسـط، ذلـك بجانـب وجـود تميـز جديـد تـم تجسـيده في مدرسـة الـتراث التـي تزعمهـا الطيـب محمـد الطيـب في برنامجـه التلفزيـوني «صـور شـعبية»، وهـو يمثـل المدرسـة الفلكلوريـة لعـرض وتفسـير الـتراث الثقـافي السـوداني.

وقـد كانـت الورقـة محاولـة للنظـر في حـاضر علـم الآثـار بالسـودان ورسـم خارطتـه المسـتقبلية بالتركيـز عـلى أصـول ونمـو علـم الآثـار السـوداني، وقـد شـمل ذللـك مراجعـة جـل مـا كتـب عـن السـودان القديـم، تاريخـه، ثقافاتـه، وحضاراتـه في محاولـة للوصـل الى مسـار علمـي يمكـن مـن بنـاء مدرسـة آثاريـة سـودانية لفهـم وتوثيـق آثـار السـودان وثقافاتـه بمعـزل عـن مدرسـة علـم المصريـات.

وقـد أورد المقـال بجانـب ذلـك عـددا مـن المميـزات الرئيسـية لعلـم الآثار في السـودان مـن خـلال ملاحظـات الأصـل والنمو، يمكـن تلخيصهـا في الآتي:

- يعتـبر علـم آثـار النوبـة (Nobyology) جـزءا مـن علـم الآثـار الإنقـاذي -نسـبة لقيـام سـد أسـوان وبرامـج تعليتـه المتكـررة التـي أسـفرت عـن قيـام السـد العـالي- والـذي تميـز بالنهـج الآثـاري الشـمولي الـذي أصبـح هـدف السـلطات المصريـة والسـودانية حينهـا، وقـد كان ذلـك ممكنـاً بسـبب توفـر الأمـوال الكافية والتقنيـات المناسـبة، خاصـة في الجـزء الثـاني مـن العمـل.
- تمثلـت النسـبة العاليـة مـن المواقـع التـي تـم انقاذهـا ودراسـتها في تلـك الفـترة بالمواقـع الفرعونيـة والمواقـع الصروحيـة البـارزة، وقـد قـاد هـذا الى تطور مدرسـة علـم مصريـات قويـة موجهـة في تفسـير المعطيـات الآثاريـة والثقافيـة، لذلـك كان محـرك البحـث والتفسـير الأساسـيهو النظـر الى مـصر بأعتبارهـا حضـارة عظيمـة وأن السـودان جـزء منهـا او تابعـا لهـا.
- أثرالنمـو في المـدارس المختلفـة لترجمـة وتفسـير الثقافـة النوبيـة سـلباً علىنمـو وتطـور علـم الآثـار الوطنـي بالسـودان، حيـث يميـل العديـد مـن علـماء وطـلاب علـم الآثـار في السـودان الى نسـيان أن التفسـيرات المرسـلة مسـتمدة مـن البيانات

التي تم جمعها من النوبة وليس من كل السودان.

- بنى علم الآثار النوبي على دراسة المباني الصروحية، وهذا يعني توافق التقنيات المستخدمة في النوبة آنذاك على هذا النوع من الآثار فقط.
- أما فيما يتعلق بالنشاط الآثاري بوسط السودان فقد أورد المقال أنه قد تطور بخط مختلف عما وجد بمنطقة النوبة بناء على اعتبارات عديدة أهمها:
- لم يعطى هذا الإقليم فرصاً كافية للعمل الآثاري من قبل المعاهد والمؤسسات الأجنبية المختلفة والتي ركزت في الأساس على مصر والآثار المرتبطة بحضاراتها، كما أنه لاتوجد بهذا الإقليم نصب تذكارية وحصون وقلاع كما وجد بإقليم النوبة.
- تعلق علم الآثار في وسط السودان بالجانب الحكومي منذ الفترة الإستعمارية حيث أضحى تحت يد السلطة الحكومية العمومية منذ عهد السير كتشنر وونجت باشا بين عامي 1898-1905م، اللذان كان لهما اهتمام بالجانب الآثاري،فقد تمت دعوة وتشجيع علماء ومتخصصين لدراسة حضارات البلاد كما تم تعيين مفتشاً للآثار وادارة للشؤون الآثارية بمساعدة مدير التعليم. وقد صاحبت هذه المرحلة العديد من المشاكل والتي كان من أبرزها أسماء الأماكن وتفسيراتها حيث أنه قد تم اخذ معظم الخرائط من مصلحة المساحة التي تم تأسيسها في مطلع الأربعينيات وقد تغيرت تضاريس واسماء العديد من المواقع والمواضع حينها. شكل اتساعالمساحات والبعد الجغرافي مشكلةأساسية امام اجراء المسح الآثاري الشامل للسودان. وقد كان من أبرز النواقص افتقار علم الآثار في السودان حينها الى نظام معياري قياسي لاختبار وتصنيف وتعيين المواقع، حيث لم يغطي المسح الآثاري العام كل البلاد وعادة ما يتم تعيين المواقع حسب أسماء الأمكان التي وجدت بها.

العناصر الأساسية لعلم الآثار الوطني «المدرسة الآثارية السودانية»:

شكل تأسيس قسم الآثار جامعة الخرطوم والذي نشأ في عام 1964م بناءً على تقرير رفعته لجنة مكلفة من مجلس كلية الاداب أولى خطوات تأسيس مايعرف بعلم الآثار الوطني بالبلاد. وبدأ القسم بالدراسات العليا، ونظم دبلوما عاليا في علم المصريات أشرف عليه البروفيسور مصطفى أمير من مصر. وقد تخرجت في هذا الدبلوم

دفعة واحدة كان عدد طلابها أربعة من خريجي الأداب والأقتصاد. كان المرحوم عكاشة محمد علي أحد هؤلاء الخريجين ، تدرج في الوظائف في مصلحة الآثار حتى اصبح مديرا للمتحف القومي ونائبا لمدير عام المصلحة.

وركز القسم اهتمامه بعد ذلك على تدريس علم الآثار لطلاب الامتياز في قسم التاريخ بغرض تخريج أساتذة المستقبل. وكانت الدفعة الاولى عام 1970م والتي ضمت تسعة طلاب ثم تعيين اثنان منهم في قسم الآثار هما على عثمان محمد صالح وعباس سيد احمد محمد علي. وخلال تلك السنوات شارك القسم في حفريات مدينة مروي القديمة بالبجراوية عندما كان البروفيسور بيتر شيني (Shinnie. P.L) رئيساً لقسم الآثار في الفترة من عام 1965 الى عام 1970م كما كان مديرا لحفريات مروي. ويعتبر مشروع حفريات مدينة مروي أول مشروع بحثي متكامل في مجال الآثار تقوم به مؤسسة جامعية سودانية بعد الحفريات المحدودة التي قام بها أوليفر مايرس (Myers. O. H.) أستاذ التاريخ القديم بكلية غردون عام 1947م بموقع عبكة بالقرب من وادي حلفا.

وخلال الثلاثين سنة الماضية ساهم قسم الآثار كثيرا سواء في برنامج العمل الميداني البحثي والمشاريع الميدانية أو في تخريج عدد كبير من الطلاب شغل الكثيرون منهم مناصب في مجال الآثار ومجالات آخرى. كما نفذ القسم العديد من البحوث الاثرية الميدانية في كل من مروي القديمة ومنطقة جنوب وشمال أمدرمان، اضافة الى العمل المشترك مع الجامعات المحلية في الشلال الخامس، والجامعات الأجنبية في مناطق النيل الأبيض وعطبرة والبطانة والخرطوم. كما جدد قسم الآثار رخصة العمل الاثري بمدينة مروي القديمة عام 1999م بعد ان وقع اتفاقية مع متحف اونتاريو الكندي (Royal Ontario Museum. ROM) للقيام بمشروع تنقيب وحماية الموقع الاثري، وذلك بعد توقف العمل مع جامعة كالقري الكندية في بداية السبعينات ومع جامعة ميونخ عام 1994م. وللقسم مشاريع آخرى مشتركة في منطقة البحر الأحمر مع المعهد البريطاني بشرق افريقيا. كما يعد القسم لبرنامج حقلي مشترك في منقطة المحس مع جامعات ومتاحف عالمية لانقاذ الرسومات الجدارية والكتابة النوبية على جدران المباني الاثرية في المنطقة. كذلك تحصل قسم الآثار على رخصة عمل جديدة في العام 2004 لمسح وتنقيب المنطقة الممتدة من المدينة الملكية وحتى المطمر ولتكون منطقة بحث وعمل ميداني ودراسات مستقبلية لقسم الآثار وطلابه. ومن هذا السرد يتضح الدور الذي قام به قسم الآثار، ولازال، في ادارة البحوث الميدانية الوطنية الخالصة في السودان. الا ان «مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس» هو دون شك المشروع الوطني الرائد.

ثالثاً: الدراسة التطبيقية لفكرة المدرسة الآثارية الوطنية:

تجسدت الدراسة التطبيقية للمحتوى النظري للمدرسة الآثارية السودانية في العديد من المشروعات التي تم تنظيمها بواسطة قسم الآثار والتي من أهمها مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس، المشروع الوطني الآثاري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس، ومشروع دراسات آثار مروي الكبرى. سيتناول البحث مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس بشكل أكثر تفصيلاً وذلك باعتبار أنه رائد المشاريع الوطنية بالبلاد والذي أسفر عن نتائج مهمة فيما يتعلق بالآثار السودانية، اكتشافها، طرق دراستها وتفسيرها كما أسهم في رفد البلاد بعدد مقدر من الكوادر المؤهلة علميا من حملة الدرجات العليا.

(1) مشروع المسح الآثاري والتنقيب الانقاذي واللغة والاستيطان والتاريخ لمنطقة المحس(5):

نشات فكرة قيام المشروعباسمه الأول (المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس) (6) في نهاية الثمانينات من القرن العشرين بعد ان أعد البروفيسور علي عثمان محمد صالح عدد من الاوراق المتتالية لتكون الإطار العلمي والعملي والميداني والنظري للمشروع. و هي كالآتي:

- الورقة الاولى: خطة المشروع: وشملت المعلومات المعروفة عن آثار المنطقة من الأبحاث والدراسات السابقة، كما شملت تفاصيل خطة المشروع مصحوبة بعدد كبير من الخرائط والصور الفوتوغرافية.
- الورقة الثانية: بعنوان الآثار والمجتمع.
- الورقة الثالثة: بعنوان المذكرة التفسيرية: وتناولت - بالاضافة الى ما ورد في الورقة الثانية - نوايا الآثاريين عند المشروع في تأسيس عمل بحثي ما. وقد قدمت هذه المذكرة لأعضاء فريق العمل الدائمين وغير الدائمين ولمجموعة من العلماء والمهتمين.
- الورقة الرابعة: كانت بحث بعنوان (علم الآثار الوطني في السودان): وهو عبارة عن تأطير نظري شامل للمشروع ولأهدافه ومراميه. وقد الحق بهذا البحث مذكرة المشروع الأولى والمذكرة التفسيرية كملحق أول وملحق ثان. وقد أعد هذا البحث بغرض عرضه على أساتذة وعلماء الآثار عامة، وعلماء الآثار السودانية خاصة للمناقشة والتنقيح واثراء البحث الذي تبني منهج

العلوم المتداخلة وهي علم الآثار، علم اللغة، علم الفلكلور، علوم البيئة وعلم الاجتماع. وفعلا قدم البحث للمناقشة ضمن أعمال المؤتمر السابع للجمعية العالمية للدراسات النوبية الذي انعقد في جنيفا – بسويسرا في الفترة من الثالث وحتى الثامن من سبتمبر عام 1990م. وقد تم نشر هذا البحث فيما بعد ضمن أعمال ذلك المؤتمر.

- الورقة الخامسة: المذكرة الموجزة والتي كتبت بعد الموسم الأول وتناولت أهمية الزمن الذي بدأ فيه العمل. كما تضمنت المفهوم الوطني للمشروع باعتباره مثالاً حياً لعلم آثار وطني يلبي حاجيات المجتمع السوداني مع تقيده والتزامه بقوانين علم الآثار العام.

وقد ضم المشروع كل منطقة المحس المعلومة لخريطة المشروع، كما اضيف التنقيب لمجالات عمل المشروع خاصة بعد ان اصبحت المواقع الآثارية مهددة بالدرجة الاولى بقيام خزان كجبار. واصبح المشروع مشتركا بين جامعة الخرطوم والمعهد البريطاني بشرق افريقيا واللجنة العليا لتعويض وتوطين المتأثرين بمشروع خزان كجبار.

يعتبر المشروع بهذا الفهم برنامجاً متعدد العلوم يشتمل على البحوث الآثارية والتاريخية واللغوية والبيئية والفلكلورية ضمن دراسة اقليمية محددة الأهداف والمناهج. ويصب التركيز الأساسي في منطقة المحس والتي تعتبر حدا (Zone) ثقافيا ولغويا منذ الفترة الوسيطة، ان لم يكن اقدم من ذلك. ويكتسب هذا الاقليم أهميته باحتفاظه للعديد من عناصر الاستيطان التاريخي والكثير مما يمكن النظر اليه كأشكال تقليدية للثقافة النوبية في بيئة ناطقة بالنوبية.

يعتبر مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس عبارة عن برنامج أبحاث متكامل يشتمل على العديد من أفرع العلوم الإنسانية والتي من أهمها:

- الدراسات الآثارية
- الأبحاث التاريخية
- الدراسات البيئية
- البحث اللغوي وتسجيل وتحليل أسماء الاماكن
- البحوث والدراسات الفلكلورية

أعتمد العمل الحقلي للمشروع علي تصميم استمارات مختلفة للرصد والتحليل، حيث عنيت أولى الإستمارات بالاستكشاف، وعنيت الثانية بالتسجيل، بينما خصصت

الثالثة للمسح، وعرفت الرابعة بالدراسة، كما تضمن العمل ما يعرف بالإستمارة الشاملة التي احتوت كذلك على التعريف بالباحث. وقد نتج هذه التقسيم وفقاً لظروف المنطقة المعينة وطبيعتها، وقد شكلت لاحقاً المادة العلمية المجموعة بتلك الاستمارات مادة الدراسة الرئيسية للمشروع والتي تم نشرها في مجلد ضخم بعنوان:» The Archaeology of a Nubian Frontier, Survey on the Nile Third Cataract, Sudan« عام 2012م بالاشتراك مع ديفيد ادواردز ومجموعة من الباحثين الوطنيين.

من نتائج العمل الميداني لمشروع المسح الآثاري والتراثي بمنطقة المحس:

ا. المسح الأثري:

هدف المسح الاثري لمنقطة المحس لدراسة التاريخ الاستيطاني الطويل بالمنطقة واكمال استكشاف المواقع الاثرية، ويتضمن ذلك اعمال المسح والحفريات الاختبارية للمواقع الرئيسية بصورة اكثر تفصيلا وعلى وجه الخصوص تلك التي يشكل قيام الخزان تهديدا لها. وقد كانت الأولوية الرئيسية في هذا المسح هي جمع المعلومات الجديدة في شكل قائمة بالمواقع من خلال ستة مراحل متسلسلة من المسح وهي:

- تحديد الموضع الجغرافي للمواقع الاثرية من خلال النصوص المسجلة والمصادر الأخرى كالروايات الشفاهية.
- استكشاف أولى للتحقق من المواقع المعروفة وتحديد المواقع الجديدة.
- القيام بمسوحات منظمة ومكثفة لتحديد أكبر عدد من المواقع الاثرية لتغطية كل المنطقة المقررة للمسح والتنقيب.
- تعريف وتصنيف وتسجيل المواقع.
- القيام بمسوحات محددة لمناطق مختارة من خلال مسح منظم بالارجل، مع التركيز على المواقع الهامة او المهددة.
- القيام بمسح كامل لمواقع المناطق المختارة يشتمل على القياس الشامل للموقع، مع امكانية القيام بحفريات اختبارية.

وقد شمل العملي الكلي للمشروع علسبعة مواسم آثارية تمثلت أبرز نتائجها في الآتي:

1. الموسم الأول (6 مارس - 6 ابريل 1990م):

أكمل المشروع خلال هذا الموسم الاستكشاف الأولى للضفة الغربية للشلال الثالث من حنك حتى كجبار، وتم تسجيل 52 موقعا تتدرج من فترات ما قبل

التاريـخ حتـى القـرن التاسـع عـشر. كـما تـم تسـجيل سـبعة مواقـع آخـرى عـلى الحافـة الشـمالية لجزيـرة اردوان.

واسـتطاع فريـق العمـل الآثـاري خـلال هـذا الموسـم ان يجـري دراسـات تحليليـة جامعـة ومبـاشرة لثلاثـة مواقـع كبـيرة وممتـدة هـي:

- كسنفركي من مواقع الفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة.
- فقيرنفنتي من مواقع الفترة الوسيطة.
- جوقل وهي قرية تعود للفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة.

2. الموسم الثاني (25 نوفمبر - 30 ديسمبر 1991م):

تـم التخطيـط في هـذا الموسـم للقيـام بعمـل مماثـل للموسـم الأول في الضفـة الشرقيـة وداخـل جـزر الشـلال ومـد المسـح شـمالاً حتـى جبـل سـيسي - دلقـو. ولبعـض الظـروف ثـم اكـمال الاستكشـاف الاولى حتـى مشـكيلة - فريَـق. كـما تـم تحديـد 120 موقعا وتسـجيلها وتوثيقهـا حتـى المرحلـة الرابعـة مـن المراحـل الموضوعـة لبرنامـج المـشروع.

واسـتطاع فريـق العمـل الآثـاري خـلال هـذا الموسـم ان يجـري دراسـات تحليليـة جامعـة ومبـاشرة لأربعـة مواقـع رئيسـة:

- طمبلنتود في جزيرة تمبس وهو موقع اسلامي.
- دابكي في جزيرة دابكي وهو موقع فرعوني مسيحي اسلامي.
- المدينة المروية القديمة في موقع كدرمة.
- مقابر المملكة الحديثة بمنطقة تمبس.

بعـد هذيـن الموسـمين توقـف المـشروع نتيجـة للظـروف التـي طالـت مديـر المـشروع البروفيسـور عـلي عثـمان منـذ بدايـة يونيـو 1992م. وتوقـف بذلـك المـشروع وتعطـل العمـل في اثنـين مـن اهـم المواقـع بمنطقـة المحـس والمنطقـة النوبيـة بشـكل عـام. حيـث كان مخططـا اكـمال العمـل الميـداني في موقـع تمبـس بحيـث تتـم حفريـات المقـبرة التـي بـدا فيهـا العمـل في الموسـمين السـابقين. كـما تعطـل المسـح الاثـري في المدينـة المرويـة القديمـة في موقـع كدرمـة وهـي المدينـة المرويـة الوحيـدة التـي وجـدت في منطقـة المحـس ولا يوجـد لهـا مثيـل في النوبـة الوسـطى او النوبـة السـفلى الا موقـع كارنـوق الـذي تمـت دراسـته في بدايـة القـرن العشريـن في منطقـة الشـلال الاول.

كل ذلـك لم يمنـع تواصـل العمـل الـدراسي والتخصـصي الـذي ادى الى نـشر كتابـين عـن المـشروع، هـما التقريريـن عـن الموسـمين الاول و الثـاني واللـذان صـدرا مـن مطبعـة جامعـة كمـبردج البريطانيـة عامـي 1992 و 1994 كـما تـم اعـداد ارشـيف كامـل يحـوي ملفـات

العمل والمقتنيات الآثارية والتقارير الأولية والصور ومذكرات أعضاء الفريق اضافة الى ملف كامل عن المشروع بالانترنت.

3. الموسم الثالث (يونيو - يوليو 1999):

توصل العمل الميداني في يونيو 1999 بموسم مسح وتنقيب قصير غطى 40 كلم من الضفة الغربية للنيل من سيسي وحتى بداية الشلال الثالث في تمبس. وقد تم تسجيل 20 موقعا جديدا اضافة الى مسح وزيارة تلك المواقع المسجلة في الموسمين السابقين وذلك لتاكيد مواضعها باستخدام جهاز التحديد العالمي للموضع الجغرافي (GPS) علاوة على ذلك تم حفر أحد مواقع العصر الحجري الحديث بمنطقة باري بالقرب من دفوي المعسكر الرئيسي لذلك الموسم.

4. الموسم الرابع (1 ابريل - 7 مايو 2000م):

انحصر العمل في هذا الموسم في جزيرة أردوان، حيث تم القيام بمسح علمي كامل للجزيرة اضافة الى استكشافات أولية على طول حدود الجزيرة تقريباً واكمال مسح منطقة شرق فاد. وخلال هذا الموسم تم تسجيل ثمانين موقعا جديدا و 10 مواقع أخرى خارج الجزيرة، وتم خلاله حفر مقابر مروية من الفترة المتأخرة كما تم حفر صوامع الغلال من عهد كرمة.

وخلال هذا الموسم ايضا تمت اعادة زيارة اغلب مواقع الضفة الشرقية بين تمبس وكدرمة والتي تم تسجيلها في مواسم سابقة وذلك لمعرفة حالتها الراهنة وتاكيد موضعها الجغرافية باستخدام الـGPS، وفي ذات الوقت كان هناك مسح لغوي قائم بفريق من معهد الدراسات الاسيوية والافريقية جامعة الخرطوم برئاسة بروفيسور هيرمان بل (Herman Bell).

5. الموسم الخامس (يناير - مارس 2002م):

غطى موسم العام 2002 عددا من المناطق وقد تم تسجيل 45 موقعا وعددا آخر من المواقع بجزر سمت، مسل، وناب والتي لم يتم فيها القيام باي عمل اثاري من قبل. اضافة الى ذلك تم القيام بعمل آخر بالضفة الغربية يشمل اعادة مسح المناطق الواقعة شمالى حنك وتسجيل العديد من المواقع الهامة الآخرى. حيث تم تاكيد وجود اكثر من 50 موقعا على اثر معلومات تم جمعها خلال عمل حقلي عن اسماء الاماكن عام 2001م. وعمل آخر يتضمن القياسات والرسوم والتخطيط في عدد من المواقع مثل نوري، فقيرنفنتي وجبل وهابة.

وخلال هذا الموسم تم تقييم شامل للآثار المعمارية في المناطق المذكورة في الفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة. وانتهى العمل باكتشاف الآثار العثمانية في جزيرتي مسل وناب ومنطقة نوري، كما تم اجراء حفرية اختبارية في موقع كدا موسى بغرض الحصول على مواد عضوية لتحليلها للحصول على تاريخ للموقع باستخدام كربون 14 المشع.

6. الموسم السادس (اغسطس - سبتمبر 2003م):

تركز العمل الآثاري خلال هذا الموسم في منقطتين رئيستين هما المنطقة الممتدة من تينيكي الى تينري في الضفة الغربية ومواقع الضفة المقابلة لها، ومنطقة سبو. في المنطقة الاولى تم التعرف على خصائص الموقعين الاثرثيين بسيسي وتينيكي وتقيمهما واجراء حفريات اولية بهما. وتم رسم وتسجيل مقبرة شيخ مرزوق بالضفة الشرقية جنوب دلقو. وقام فريق العمل بالقيام بتقييم شامل للآثار المعمارية الدينية والمدنية والعسكرية بالمنطقة خاصة الموقع العثماني بتينيري. وتم مسح وتقييم مواقع مملكة كوكا في كوكا وشده وسدله وقرقود.

في الجانب الآخر تم تركيز العمل المسحي بوديان منطقة سبو جنوب شلال كجبار، حيث تم اكتشاف العديد من المواقع الاثرية من فترة ما قبل التاريخ والعديد من الرسوم الصخرية على جبال وصخور المنطقة، وقد وجد ان هذه الرسوم الصخرية تربو على الالف رسم على جبال وهضاب ممتدة لحوالى اربعة كيلو مترات. كذلك تم التعرف على الحدود الشرقية للجزيرة التاريخية الثالثة في منطقة الشلال الثالث وهو فرع النيل القديم الذي كان يصب في النيل في قرية اسماكول بين فريق وجدي.

7. الموسم السابع (فبراير - مارس 2005م):

تم في هذا الموسم مراجعة بعض المواقع التي تم مسحها فيما قبل على طول الشلال الثالث واكتشاف أخرى خاصة على طول وادي فرجا. يعتبر هذا الموسم خاتماً لأعمال المشروع حيث تم التخطيط بعده لنشر كافة نتائج المسح الآثاري والحفريات الأولية وباالتالي فقد أنهى المشروع أحد أهم جوانب خطته العامة التي وضعت مسبقاً.

ب. المسح اللغوي:

ركز البحث اللغوي على تسجيل وتحليل أسماء الاماكن في منقطة الدراسة مع التركيز على المواقع والاماكن المهددة بقيام سد كجبار. كما هدف العمل الى تأسيس أنماط معاصرة لاستعمال اللغة وعلاقتها بالانماط التاريخية حسب ما تشير اليها اسماء

الأماكن. كما جرت محاولات للتعرف على خصائص أسماء الاماكن وربطها باصول مروية محتملة.

تركز العمل على الاسماء الجغرافية بقيادة البروفيسور هيرمان بيل والاستاذ محمد جلال هاشم. وهدف العمل على التاكيد بأقدمية أسماء الأماكن قدم الآثار نفسها وهي بالتالي تحتاج لنفس ما تحتاجه الآثار من الدراسة والتقصي.

ج. البحوث الفلكلورية ودراسات الانساب:

مثلت دراسات الانساب حقلا مهما للدراسة، سواء كان ذلك فيما يتعلق بدراسات الطوبونيما (دراسة اسماء المواقع الجغرافية واصلها Toponymy) او اشكال الدليل الأخرى للمستوطنات. وقضايا اكثر تحديدا تتضمن تاثير المساهمات الاسلامية الاولى والعثمانية والتاثيرات الأخرى على تطور السلالات النوبية الحديثة. وتم في هذا المسح تسجيل التواريخ الخصوصية للافراد ذوي الحرف مثل الخزافين، والحدادين والمراكبية. كما وضع في الاعتبار دراسة التقالد المرتبطة بمواقع محددة بما في ذلك مواقع الآثار تحت مسمى (فلكلور المواقع الآثارية) ومسمى آخر هو (ثقافة الموت). وتضمن هذا الجانب كذلك دراسة الطرق الصوفية في منطقة المحس، شيوخها وقبابها المنتشرة في المنطقة كلها ويمتد تاريخ بعضها الى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

• الدراسة البيئية:

يتميز الاقليم بخاصية هامة وهي بقاء مواد اثارية عضوية عديدة لفترة طويلة من الزمن بسبب المناخ الجاف الذي يساعد على الحفاظ على هذا النوع من المواد الآثارية. وبذلك تمكن المشروع من اجراء دراسات عن النباتات القديمة خاصة مع احتمال وجود مواقع قد تعود لآلاَف السنين.

وقد تم عمل موسم واحد جاد فيما يتعلق بدراسة الحشرات والطيور والاسماك والانسجة البشرية وخلافها، ومن أبرز نتائجه هذا العمل أنه مهد لتطوير مثل تلك الدراسات مستقبلا عن طريق تهيئة المجال لدارسين جدد خاصة طلاب الدراسات العليا بقسم الآثار، والتوصية بإنشاء معمل حديث بقسم الآثار لإجراء التحليلات المعملية الخاصة بالمواد الآثارية التي تم جمعها.

مساهمة المشروع في تدريب طلاب قسم الآثار:

ساهم المشروع بصورة فاعلة في تدريب طلاب قسم الآثار، حيث أشرك المشروع في موسمه الأول طلاب المستوى الخامس للعام الأكاديمي 1989-1990م، وفي الموسم

الثاني اشرك المشروع طلاب المستوى الخامس كما نفذ المشروع الاكاديمي 1999-2000م، وطلاب المستويين الثالث والرابع للعام الاكاديمي 2002-2003م. وقد تم اشراك الطلاب في الاساس للتدريب على مسئولية العمل الآثاري البحثي والانقاذي اولا وتدريبهم على انواعه ثانيا. كما استحدث قسم الآثار مقرر (العمل الميداني المتقدم) لطلاب المستوى الرابع ومقرر ادارة المصادر الثقافية والآثارية لطلاب المستوى الخامس. وذلك للمشاركة في اعمال القسم الميدانية البحثية الدائمة ومن ضمنها مشروع المحس الآثاري.

مساهمة المشروع في تدريب طلاب الدراسات العليا:

هنالك عدد مقدر من اساتذة الآثار بالجامعات السودانية المختلفة الذين اعدوا رسالاتهم لدرجة الماجستير و/ او الدكتوراه في اطار اعمال ونتائج مشروع المحس الآثاري وهم كالآتي:

الاسم	الجهة	الدرجة
يحي فضل طاهر	جامعة الخرطوم	دكتوراة
أمل حسن قسم الله	الهيئة العامة للآثار والمتاحف	ماجستير
أمل عوض مختار	الهيئة العامة للآثار والمتاحف	ماجستير
عبد الرحمن إبراهيم سعيد	جامعة الخرطوم	ماجستير/ دكتوراة
رحاب خليل بشير	جامعة الخرطوم	ماجستير
رحاب شمبول مصعب	جامعة وادي النيل	ماجستير/ دكتوراة
سارة عبد المنعم	جامعة الخرطوم	ماجستير
سعاد عثمان بابكر	خاص	ماجستير
ناهد عبد اللطيف	جامعة بحري	ماجستير/ دكتوراة
محمد أحمد عبد المجيد	جامعة وادي النيل	ماجستير/ دكتوراة

يوسف العبيد	خاص	ماجستير
سناء محمد أحمد ا لبطل	جلمعة دنقلا	ماجستير
أمل عمر أبو زيد	جامعة أمدرمان الأهلية	دكتوراة
أزهري مصطفى صادق	جامعة الخرطوم	دكتوراة
منال محمد عثمان	معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم	ماجستير
عبدالمنعمأحمدعبدالله	جامعة شندي	ماجستير
محمد البدري سليمان	جامعة الخرطوم	ماجستير/ دكتوراة
عبير علي عمر	جامعة النيلين	ماجستير
مني عابدين	خاص	ماجستير
ياسر علي محمد تاي الله	جامعة الخرطوم	دكتوراة
رباب عبدالرحمن الوسيلة	جامعة الزعيم الأزهري	دكتوراة

الاكتشافات الجديدة في نتائج المشروع:

تعتبر بعض نتائج هذا المشروع اكتشافات جديدة اضافت الى معرفتنا لتاريخ المنطقة الثقافي ابعادا جديدة بل انها فسرت واجابت على اسئلة كبيرة في تاريخ السودان القديم والحديث مما سيؤدي الى تغيرات رئيسة لفهمنا على الوجه الصحيح. ومن أبرز هذه الاكتشافات:

- رصد وتسجيل عدد مقدر من مواقع العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث واكتشاف مجاري أنهار قديمة تغطي المساحة شرق النيل وحتى خط السكة الحديد القديمة. وقد أدى هذا الاكتشاف الى معرفة ان

منطقـة الشـلال الثالـث كانـت بهـا في الاسـاس جزيرتـان عـدا الجـزر المعروفـة حاليـا. حيـث كوَن خـور فرجـه الـذي يتفـرع مـن النيـل في شرق سـمت ويصـل النيـل مـرة أخـرى في خـور مسـيدة جزيـرة، كـما كان يتفـرع خـوراً آخـر مـن النيل ليتصـل بخـور سـيون – فـركي في الحـدود بـين جـدي وسـبو مكونـاً جزيـرة كبـيرة زالـت معالمهـا الان. كـما ان خـور اسـمكول الحـالى ربمـا كان يتصـل بامتـداد خـور سـيون – فـركي ليكـون شـبه جزيـرة.

- وفي خـلال اربعـة مواسـم لمـشروع المسـح الآثـاري لمنطقـة المحـس (1990-2002) تـم الكشـف عـن 47 موقعـا في فـترة مـا قبـل التاريـخ في منطقـة الشـلال تعـود 17 منهـا لفـترة العـصر الحجـري الحديـث. وقـد اثبتـت الاكتشـافات التـي تمـت عـلى المواقـع الاخـيرة في المناطـق الداخليـة للشـلال الثالـث حـول وادي فرجـا، ومنقطـة اشـو وعـلى الضفـة الشرقيـة للنيـل عنـد نهايـة وادي فرجـا انـه يمكـن التعامـل مـع مخلفـات مواقـع هـذه الفـترة كنطـاق ثقـافي متجانـس يمكـن تاكيـده مـن خـلال المنهـج الاقليمـي المتداخـل (Intra-Regional) ومـن خـلال اعـادة تقييـم للتطـور الثقـافي للعـصر الجـري الحديـث في عمـوم منطقـة النوبـة، بالرغـم مـن ان الاختلافـات في بعـض المواقـع تتطلـب دراسـات اضافيـة مفصلـة قـد تكـون مفيـدة في تطويـر تسلسـل زمـاني لمواقـع العـصر الحجـري الحديـث بالشـلال الثالـث ومنطقـة المحـس عمومـا.
- المسـتوطنة المصريـة في تمبـس وجزيـرة دابـكي والمقابـر الملحقـة بهـا لامـراء مصريـين ربمـا كانـوا ولاة هـذا الاقليـم بعـد ان هزمـت جيـوش المملكـة المصريـة الحديثـة جيـوش مملكـة كـوش الاولى اي مملكـة كرمـة واحرقـت المدينـة. ولم تكـن توجـد ايـة دلائـل لاسـتيطان مـصري في هـذا الاقليـم بعـد كرمـة، بـل ذهـب العلـماء الى القـول ان جيـوش المملكـة المصريـة الحديثـة قـد تراجعـت الى مـصر بعـد ان فتحـت الاقليـم للتجـارة.
- وقـد تـم تحويـل هـذا الجـزء مـن المـشروع لجامعـة كلفورنيـا الامريكيـة بالتوافق مـع الهيئـة القوميـة للآثـار والمتاحـف التـي تصـدر رخصـة العمـل الآثـاري في كل انحـاء السـودان. ومـازال فريقهـا يعمـل ويزيـد اضـاءات كثـيرة عـلى اكتشـافات مـشروع المحـس في تمبـس بقيـادة بروفيسـور اسـتيوارت تايسـون اثميـث وبروفيسـور بـروس وليامـس اللـذان يعتـبران مـن أبـرز علـماء علـم المصريـات الحاليـين في العـالم.
- الاكتشـاف المذهـل بالوجـود الاسـلامي الفاعـل في اطـار مملكـة دنقـلا المسيحية

ابتـداءً مـن القـرن التاسـع الميـلادي في صـورة امـارات اسـلامية متزامنـة مـع المملكـة المسـيحية، حيـث وجـدت الدلائـل الآثاريـة الدامغـة لمملكـة السـكراب في منطقـة دلقـو وسـدلة مـن القـرن التاسـع الميـلادي في شـكل قبـاب ومقابـر فريـدة في الشـكل الخارجـي، كـما وجـدت دلائـل مماثلـة لوجـود الطريقـة الركابيـة حاكمـة ازاء آخـرى مـن جنـوب المحـس بالتركيـز عـلى جزيـرتي نـاب وسـمت مـن القـرن العـاشر وحتـى القـرن السـادس عـشر، حيـث ضمـت جيـوش السـلطان العثـماني كل منطقـة المحـس الى اقالـم الامبراطوريـة العثمانية في 1584 ميلاديـة واختـارت جزيـرة مسـل لقيادتهـا العسـكرية حيـث بنـت فيهـا قلعـة عسـكرية ضخمـة عـلى الطـراز الـتركي، كـما اختـارت نـوري لتكـون مقـرا للقيـادة المدنيـة للولايـة (ايـلات المحـس) حيـث اكتشـفنا هنـاك مقـر الحاكـم، وهـذا الاكتشـاف يثـير اسـئلة كثـيرة حـول نظريـة دخـول الاسـلام التاريخيـة حيـث انـه مـن الواضـح ان الاسـلام دخـل السـودان بمعاهـدة البقـط ومعهـا وليـس في القـرن الرابـع عـشر كـما يقـول المؤرخـين.

- يعتـبر كتشـاف آثـار الفـترة العثمانيـة في منطقـة الدراسـة اضافـة جديـدة وذات اثـر بعيـد لفهـم تاريـخ السـودان في العـصر الوسـيط ولفهـم الشـخصية السـودانية الحاليـة التـي تشـكلت عـلى الـتراث الاسـلامي الاصلاحـي العثـماني في الشـمال والـتراث الاسـلامي الصـوفي المحـسي في القـرون مـن التاسـع وحتـى السـادس عـشر، والفونجـي في القـرون مـن السـادس عـشر وحتـى التاسـع عـشر الميـلادي في وسـط السـودان. كـما القـى هـذا الإكتشـاف الضـوء عـلى سـبب الهجـرة المحسـية الكبـيرة الى أواسـط بـلاد السـودان منـذ حـوالى 1600م وهـي الهجـرة التـي شـملت الشـيوخ الكبـار مـن أمثـال الشـيخ ادريـس ود الاربـاب، والشـيخ اربـاب العقائـد والشـيخ حمـد والشـيخ خوجـلي والشـيخ الامـام الذيـن كونـوا جـزءا هامـا وكبـيرا مـن الـتراث الصـوفي في مملكـة العنـج وفي اواسـط السـودان.
- كـما فـسر هـذا الاكتشـاف ظهـور الخـلاوي القرانيـة – الفقهيـة في ارض المحـس منـذ بدايـة القـرن السـابع عـشر وانحسـار المـد الصـوفي فيـه تبعـا لذلـك. فقـد اضعـف العثمانيـون الاسـلام الصـوفي في المحـس وهـم الاسـلاميون السـنيون الاصلاحيـون، واتـوا لديـار المحـس بعـدد مـن الفقهـاء والقضـاة مـن اسـطنبول ومـن الاراضي المقدسـة وافتتحـوا لهـم الخـلاوي القرانيـة – الفقهيـة.

(2) المشروع الوطني الآثاري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس[7]:

يعتبر مشروع الشلال الخامس مشروع ميداني بحثي شامل لآثار المنطقة وبيئتها وانسانها وثقافاتها التقليدية بغرض انشاء نموذج دراسي علمي حديث في الدراسات الانسانية والاجتماعية السودانية يضئ تاريخ منطقة مهمة جدا في منطقة وادي النيل الأول الأوسط لعبت دورا رئيسيا في صياغة تاريخ وثقافة وهوية الأمة السودانية. وقد تم بناء المشروع ليصبح مشروعا ميدانيا ليستوعب تدريب طلاب الآثار والعلوم الإنسانية والإجتماعية الأخرى على أحدث التطورات العلمية العالمية والإقليمية والمحلية.

سعى المشروع فوق هذين الهدفين الكبيرين الى تنمية مجتمعات منطقة الدراسة تنمية مستدامة حيث أنها منطقة غنية جدا بامكانيات تطوير الصناعات المحلية مثل صناعة صيد السمك وصناعات زراعة وتسويق النباتات الطبية وغيرها، ولما تتميز به المنطقة من امكانيات سياحية هائلة في مجال السياحة الطبيعية، سياحة النهر، والسياحة الثقافية والآثارية، وقد هدف المشروع في ذلك الى تهيئة المنطقة لقيام سياحة متطورة ومربحة ومتصالحة مع البيئة.

بناء على ذلك تم بناء المشروع من أربعة فروع أساسية، وهي:

- فرع الدراسات الآثارية
- فرع دراسات البيئة
- فرع دراسات الثقافات التقليدية
- فرع دراسات السياحة والتنمية المستدامة

على أن يربط بين هذه الفروع الآتي:

- مدير واحد للمشروع تتوفر فيه القدرة العلمية العالية والخدمة الطويلة والتجويد المشهود في مجالات المشروع والعمل الميداني.
- المنهجية العلمية القائمة علي منحى تداخل العلوم (interdisciplinary)
- الطرق والوسائل والتقنيات العلمية التي يتم اختيارها للدراسات.
- العمل الميداني الموحد الذي تتخلله المحاضرات التوضيحية والتفسيرية لمدير المشروع والمديرين الميدانيين المشرفين.
- لجنة إدارية وتنسيقية مكونة من رؤساء الوحدات المعنية بالمشروع في المؤسسات المكونة له والتي تضم:
  - جامعة وادي النيل، والتي يمثلها رئيس مجلس مركز دراسات وأبحاث الآثار

- جامعة الخرطوم، ويمثلها رئيس قسم الآثار
- الهيئـة القوميـة للآثـار والمتاحـف، ويمثلهـا أمـين أمانـة الكشـف الأثـري. ذلـك بالإضافـة الى مديـر المـشروع ومستشـاره.
- النـشر الموحـد الـذي تعـد مادتـه الفـرق العلميـة تحـت اشراف مديـر المـشروع وتبـاشر لجنـة الإدارة والتنسـيق تنفيـذه.
- الاتفـاق الموحـد عـلى اختيـار منطقـة الإمتيـاز للمـشروع كـما تحـدده قوانـين الهيئـة القوميـة للآثـار والمتاحـف وذلـك بـين لجنـة الإدارة والتنسـيق واللجنـة العلميـة.
- اختيـار مقـر دائـم للمـشروع. وقـد تـم الاتفـاق في اللجنـة العلميـة عـلى أن يكـون المقـر الدائـم هـو مركـز دراسـات وأبحـاث الآثـار بجامعـة وادي النيـل حيـث يعقـد معسـكر تجميـع التقاريـر واعدادهـا للنـشر وحيـث تحفـظ كل المـادة المتصلـة بالمـشروع.
- التنسـيق التـام بـين أعـمال اللجنـة العلميـة ولجنـة الإدارة والتنسـيق عـن طريـق مقرريـن يتـم اختيارهـما مـن أعضـاء هيئـة مركـز دراسـات وأبحـاث الآثـار بجامعـة وادي النيـل ولجنـة الإدارة والتنسـيق.
- إجـراء موسـم عمـل ميـداني ابتـدائي يجـرى فيـه استكشـاف للجـزء الجنـوبي مـن منطقـة الشـلال الخامـس.

أسـفر المـشروع عـن تنفيـذ مسـح آثـاري متكامـل وتنقيبـات آثاريـة نوعيـة للتعـرف عـلى آثـار المنطقـة وتوحيـد الـرؤى بـين الفـروع المختلفـة المكونـة للمـشروع بإجراء دراسـات أوليـة عـن البيئـة والثقافـات التقليديـة في المنطقـة وعـن إمكانياتهـا السـياحية والتنمويـة ثـم عقـد معسـكر موحـد في مركـز دراسـات وأبحـاث الآثـار بجامعـة وادي النيـل لتجميـع التقاريـر وتهيئتهـا للنـشر.

وقد شمل العمل في الموسم الأول على الآتي:

- حفريات نوعية في أحد مواقع المقابر التلية.
- حفريـات نوعيـة في أحـد مواقـع الاسـتيطان لفـترة مـا قبـل التاريـخ، أي مـا قبـل 3000 ق. م.
- إجـراء مسـح آثـاري علمـي دقيـق (Walking Survey) لـكل مناطـق الجـزء الجنـوبي مـن منطقـة الشـلال أي بـين قـرى فتـوار في الجنـوب وزمامـة في الشـمال وهـي تضـم الأوديـة الكـبرى الآتيـة: وادي الجـداد، وادي البقـر، وادي الـردادي، وادي السـنقير، وادي أبـو سـدير، كـما تضـم امتداداتهـا في الصحـراء بعـداً عـن النيـل لمسـاحة 8 كلـم.

- إجراء مسح آثاري للجزر الكبرى بداية بجزيرة كرنى ثم جزيرة العشير ثم جزيرة المستريحة ثم الأخريات.
- دراسات بيئية تشمل الأودية ومناطق العمران والنيل والجزائر والصحراء.
- التعرف على الإمكانيات السياحية للمنطقة بكل أنواعها.
- التعرف على الثقافات التقليدية في منطقة الدراسة بالتركيز على مناطق الجزر.
- بنيت خطة العمل هذه على ضوء الأسئلة الإستراتيجية العامة المطروحة والتي كانت مدعاة لقيام هذا المشروع في الأصل. بجانب العديد من الأسئلة الاستراتيجية والتي كان من أبرزها:
- هل توجد آثار نبتية في منطقة الدراسة أم أن النظرية التي تقول أن حضارة مروى جاءت امتداداً لحضارة نبتة لا تقوم على أية أسس علمية والذي نحن بصدده سودان بحضارتين قديمتين شمالية نوبية وجنوبية مروية؟.
- هل من سبيل لمحاولة فك رموز اللغة المروية من التاريخ اللغوي لمنطقة الدراسة، وكيف نستفيد من الواقع اللغوي المعقد الذي تتسم به هذه المنطقة في مسألة اللغة المروية؟.
- ما هي آثار ونتائج حملة الملك إزانا (عيزانا) ملك أكسوم على مملكة مروي في منتصف القرن الرابع الميلادي. وهل استوعبت هذه المنطقة بعضاً من القبائل النوبية التي حاربها إزانا وطاردهما كما يقول على نهر عطبرة حتى وصل النيل، ثم زحف إلى مدينة مروى الملكية منتصراً؟.
- ما هي آثار ونتائج الوجود المكثف لقبائل بني ربيعة بقيادة زعيمها عبد الله العمري في الصحراء الشرقية وعلى منابع خور كرسكو منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، على منطقة الدراسة. مع العلم أن الجزء الشمالي من منطقة الدراسة كان وما زال هو أقرب النقاط على النيل لجلب ماء الشرب لمنطقة الذهب حيث نشطت قبائل بني ربيعة. ألا توجد أية تأثيرات لهذه الأنشطة التي لا شك أنها وصلت النيل وربما قطعته إلى الغرب حيث مناطق الذهب في وادي السنقير والحجاجية وغيرها؟.
- منطقة الدراسة كانت جزءاً من مملكة علوة المسيحية في العصر الوسيط (500 – 1500م). هل كانت المنطقة منطقة وسطى بين علوة والمقرة أم

كانت مملكة قائمة بذاتها لفترات من ذلك التاريخ الطويل، وما هو الدور الذي لعبته المنطقة في المملكتين؟.

- ثم استقبلت المنطقة هجرة في نهايات العصر الوسيط، هي هجرات مجموعات العنج. من هم، ومن أين جاءوا؟ وما تأثيرهم التاريخي، الثقافي، الاجتماعي، الديني، واللغوي، على منطقة الدراسة وعلى كل مملكة علوة.
- بجانب ذلك بني الموسم الأول للإجابة على بعض الأسئلة الرئيسية والتي ربما تستمر مطروحة لموسم آخر أو موسمين قادمين فهي:
- طبيعة العلاقة بين الأودية الكبرى والنيل على كل المستويات.
- استمرارية العمران أو عدمه في منطقة الدراسة عبر ما قبل التاريخ والتاريخ القديم والتاريخ الوسيط وما بعد الوسيط.
- وقد تمثلت نتائج هذا العمل في الآتي:
- إجراء المسح الآثاري في كل المنطقة المختارة (320كلم2) واكتشاف وتسجيل ودراسة 153 موقعاً تمثل كل الفترة الممتدة من بداية العصر الحجري الحديث وحتى الفترة الإسلامية الأولى لما قبل سيطرة الفونج في المنطقة.
- إجراء مسح آثاري لجزيرة كرني.
- إجراء حفريتان نوعيتان، الأولى في الموقع رقم (1) بالقرب من وادي الخلفية جنوب الضيقة، والثانية إلى الجنوب الشرقي من وادي أبو حراز.

وقد أفادت الحفريتان إفادات علمية غاية في الجدة والأهمية مما سيؤدى إلى مراجعة كثير مما كتبه الأولون عن هذه المنطقة بالأخص وعن التسلسل التاريخي للسودان في العموم.

الثقافات التقليدية:

اقتصر الموسم الأول على التعرف على المنطقة وسكانها والأنماط الثقافية السائدة فيها وتراثها الشفاهي والممارسات الحياتية التقليدية التي تمارسها المجموعات السكانية التي تحدها جغرافياً الضفة الغربية للنهر الممتدة من الجول إلى زمامة وشرقاً من مبيريكة إلى الكربة، مجموعة الجزر من فتوار إلى العشير. والتي يمكن اعتبارها وحدة ثقافية ذات سمات وخصائص متشابهة.

وبناء على ذلك تم رصد العديد من الجوانب الثقافية بالمنطقة والتي شملت على الأحاجي والحكايات الشعبية، القصص والأساطير حول المناطق الأثرية، الشعر

التقليـدي والغنـائي، الروايـات الشـفاهية التاريخيـة، مـزارات الأوليـاء والصالحـين،: العـادات والتقاليـد، الألعـاب الشـعبية، بقايـا اللغـات القديمـة، والثقافـة الماديـة، بالإضافـة الى برنامـج التوظيـف السـياحي لمنطقـة الشـلال الخامـس والـذي ضـم العديـد مـن المحـاور مثـل الدعايـة والإعـلان، التنميـة المسـتدامة، البرامـج السـياحية، . كذلـك شـملت الدراسـة عـلى اعـداد تقريـر مفصـل عـن جيولوجيـة وجغرافيـة منطقـة الشـلال الخامـس.

(3) مشروع آثار مروي الكبرى(8):

كانـت بدايـة مـشروع دراسـات مـروي الكـبري بشـكله الحـالي حينـما قـررت جامعـة الخرطـوم عـام 2000م تنشـيط رخصتهـا للعمـل الاثـاري والحفريـات والصيانـة والترميـم في مدينـة مـروي القديمـة في أعقـاب تصفيـة أعـمال المـشروع السـوداني الألمـاني عـام 1999م وتـم تعيـين البروفيسـور عـلي عثـمان محمـد صالـح مديـرآ جديـدا للمـشروع بقـرار مجلـس قسـم الاثـار ومجلـس أبحـاث كليـة الآداب.

وقـد بـدأ المـشروع بإعـداد إسـتراتيجية جديـدة للعمـل وفـق أسـئلة علميـة جديـدة كان أبرزهـا:

- متي وكيف نشأت وتطورت مدينة مروي ؟
- ماهـي عوامـل و مراحـل نمـو حضـارة مـروي إلي أمبراطوريـة ذات علاقـات عالمية واسـعة مـع عـالم البحر المتوسـط؟.
- كيف نتعرف على الشعب المروي و أين آثاره الدالة عليه؟
- كيف ومتى ضعفت حضارة مروي؟
- ماهـي معـالم الإسـتمرارية الثقافيـة في جزيـرة مـروي و منطقـة الشـلال الخامـس عنـد ضعـف قـوة مـروي و نشـأة الممالـك المسـيحية فيـه؟
- ماهي العلاقة بين زوال قوة حضارة مروي وإنتشار الدين المسيحي فيها؟

عـلى ضـوء تلـك التسـاؤلات أنشـأ قسـم الآثـار جامعـة الخرطـوم مشروعـاً بحثيـاً تحت مسـمى «آثـار مـروي الكـبرى- مـشروع الضواحـي الشـمالية» ليضـم بحـوث طلاب الدراسـات العليـا (الماجسـتير والدكتـوراة) والعمـل الميـداني في مـروي الكـبرى (جزيـرة مـروي)، والتـي تنضـوي تحتهـا الضهـيرة ، والكربـة، والبطانـة الشـمالية. وقـد تمـت دعـوة كافـة المشـاريع الأجنبيـة العاملـة في هـذه المناطـق للمشـاركة في المـشروع أعـلاه، وذلـك للتخطيـط أيضـاً لإنشـاء جمعيـة جديـدة أو مجموعـة، لتنظيـم ورش عمـل وسـمنارات ومؤتمـرات تحـت هـذا المـشروع في إطـار المؤتمـر العالمـي للدراسـات المرويـة الـذي ينعقـد كل أربـع سـنوات.

عملت استراتيجية المشروع على تقسم منطقة الدراسة الى العديد من الأجزاء وفقا لماتحتويه من خصائص وآثار. وهي كالآتي:

- المنطقة الأولى: تقع ما بين مروي القديمة وقَدو، وتميَّزت طبيعتها بوجود أكوام ترجع للعصور الحجرية، وقد استمرت الحفريات الاختبارية فيها لمدة خمسة مواسم. يشكِّل موقع الصُور واحداً من أهم هذه المواقع، وهو موقع استيطان يرجع للفترات الوسيطة والمتأخرة من العصر الحجري الحديث، وقد ضم دفنات أطفال في جرار، وتجمُّع صناعات مشابهة لتلك في موقع الكَدَّادة وشَق الدُود وقلعة شنَّان بشندي.
- المنطقة الثانية: تقع ما بين قَدَّو وجبل أم علي شرق خط السكة حديد، في المنطقة المرتفعة من وادي الدان ووادي عيًش. تحتوي هذه المنطقة على المئآت من مدافن العامة في مروي، وقد احتوى واحد من هذه التلال المرتفعة على واحد وخمسين قبراً تلِّياً من الحجارة السوداء، والذي أطلق عليه «المجموعه الأولى» وعرِّف بمسمي (AK) اختصاراً لاسم أقرب قرية من الموقع، وهي قرية العَكّامة. وقد تم إجراء ست حفريات اختبارية في هذه المجموعة من المدافن
- المنطقة الثالثة: تقع بين قَدو وجبل أم علي غرب خط السكة حديد، وتعرف بـ»شِيِّلِيَة المُشرع«، وتحتوي على ثلاثة أكوام مرتفعة أشارت الأدلة السطحية إلى أنها ربما كانت مستوطنات ترجع للفترات المبكرة، والكلاسيكية، والمتأخرة من عهد مروي.
- المنطقة الرابعة: تضم موقع جبل أم علي، وهو موقع اسلامي يشتَّمل على جبَّانة كبيرة مع أربع قباب للشيخ حامد أبوعصاية وأبنائه.
- المنطقة الخامسة: وتعرف بـ»جبل الضيِّقة«، وتعرف أيضاً بـ»آثار الفترة ما بعد مروي«، وتضم قلعة كبيرة في قمة جبل الضيِّقة، مطلة على النيل، اضافة الى مجموعات مختلفة من المباني الحجرية،وجبل آخر يضم أبراج مراقبة وكهف يحتوي على رسومات متعدِّده لفارس على حصان وجمال، إضافة إلى نجمة داؤود.
- تمتد المنطقة السادسة من الجزء الشمالي للضيِّقة بالقرب من جبل السنَّاري (شمال قرية الضيِّقة)، وتضم المباني الأخرى أسفل جبل المزموم (حوالي 3 كلم من قرية الضيقة) والآثار المروية في قرية الكِيْثْواب أسفل جبل أم بور (حوالي 13 كلم شمالي مروي القديمة).

- أمـا المنطقـة السـابعة فتضـم المُطْمـر، وتحتـوي عـلى جبَّانـة إسـلامية ضخمـة مـع قبـة فريـدة للشـيخ عمـر النِشـيوْ. ولم تُضمَّـن المنطقـة السـابعة في التقريـر المفصـل للمـشروع.

أسـفرت الأعـمال الميدانيـة لهـذا المـشروع عـن العديـد مـن النتائـج المهمـة التـي تسـهم في فهـم جديـد لبدايـات ونهايـات مملكـة مـروي وشـعوبها اضافـة الى الاسـتمرارية الثقافيـة بالمنطقـة عـبر العصـور منـذ العـصر الحجـري الحديـث وحتـي الفـترة الإسـلامية والتاريـخ الحديـث، ذلـك بجانـب تدريـب وتأهيـل الكـوادر الوطنيـة مـن طـلاب البكلاريوس والدراسـات العليـا بجامعـة الخرطـوم، والى الآن تـم انجـاز سـت مواسـم تدريبيـة لطـلاب البكلاريـوس بموقـع وادي الـدان، بجانـب العديـد مـن رسـائل الدراسـات العليـا والتـي شـملت:

الاسم	الجهة	الدرجة
أحمد حامد نصر	جامعة شندي	ماجستير
مزمل سعد إبراهيم	خاص	ماجستير
محمد البدري سليمان بشير	جامعة الخرطوم	ماجستير
ياسر علي محمد تاي الله	خاص	ماجستير
صفاء مصطفي نجم الدين	خاص	ماجستير
فتح الرحمن محمد عبدالرحيم	وزارة الثقافة	ماجستير
نهى عبدالحافظ عبدالعزيز	جامعة شندي	ماجستير

خاتمة:

وفقا لما تم مناقشته في هذه الورقة تبين لنا الدور الكبير الذي لعبته الأبحاث الميدانية للمدرسة الوطنية في آثار السودان، وهي ضرورة قصوى فرضها الوضع العام للسودان، الذي يحتوي على العديد من التفاعلات الفلسفية والثقافية من حيث الاختلاف الإثني والثقافي خلال الحقب التاريخية المختلفة، والتي يشكل مجملها مايعرفبالثقافة السودانية.

عنى علم الآثار الوطني بدراسة التنوع الثقافي في السودان عبر العصور وفق رؤية محلية خالصة، وقد أسهمت البعثات الآثارية المختلفة في السودان في اكتشاف العديد من المواقع التي ترجع الى فترات مختلفة والتي كان لها اسهام كبير في معرفة الخصائص السياسية والتاريخية والثقافية للسودان خلال العصور، وبالرغم من ذلك، الا أن هناك العديد من جوانب القصور التي شابت تلك الأعمال خاصة في جوانب التفسير والتركيب الثقافي العام، وقد تبين أنه من الصعب وجود تفاسير صحيحة للحضارات السودانية باستخدام المناهج الفكيية للمدارس الأجنبية، لذلك كان لابد من علم آثار وطني يفسر ويجيب على كثير من الأسئلة المطروحة، خاصة فيما يتعلق بالجوانب الثقافية للشخصية السودانية التي جسدتها الآثار. عليه فان علم الآثار الوطني يعني بدراسة الثقافة السودانية بكل مراحلها في الفترات التاريخية المختلفة من منظور محلي وهي المدرسة التي نادها بها وأسس لها البروفيسور علي عثمان محمد صالح.

الهوامش:

- البدري، محمد سليمان، و عثمان، علي محمد صالح .2021. موقف الدراسات في آثار مروي القديمة ونتائجها الأولية، ورقة منشورة بمجلة الدراسات السودانية، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم، مجلد رقم 25. ص 39-65.
- Edwards, D. Osman, A. Tahir, Y. Sadig, A. and Soghayroun, I., On a Nubian frontier: landscapes of Settlement on the Third Cataract of the Nile, Sudan, in Azania: Archaeological Research in Africa, Vol.
- 47:4, 2012, pp450487-
- Osman, A. 1981, Archaeology in the Sudan. In into1980s. In Donald. I, Shinnie, P. and Williams, D. (eds), proceedings of the Elenevth Annual Conference of the Canadian Association, for African Study blished by Tantalus Research Ltd. Vancouver Canada, pp5272-
- Osman, A. 1993, Nationalist Archaeology the Case of the Sudan. In Bonnet, C. (ed), Etudes Nubiennes, vol.1, pp225236-. Geneves, Switzerland.
- Osman, A., and Edwards, D. The Archaeology of a Nubian Frontier,
- Survey on the Nile Third Cataract, Sudan. Bristol, 2012.
- أجيز المشروع من مجلس قسم الآثار في اجتماعه بالنمرة ج خ/ آداب/ أ ث 6 بتاريخ 10 يناير 1990، كما أجيز من مجلس أبحاث كلية الآداب في اجتماعه الثاني للعام الدراسي 1989-1990 بتاريخ 18 يناير 1990. وقد صدر تصريح مؤقت من الإدارة العامة للآثار والمتاحف للعمل للموسم الأول بتاريخ 7 فبراير 1990 بالنمرة و ت أ/ 3/ ج/ 1982/ سري، ثم صدرت رخصة العمل بتاريخ 1991/11/20 (ملحق رقم 3) بعد أن أكدت كلية الآداب التزامها بالمشروع بتوقيع عميدها الجديد في ذلك الحين.
- علي عثمان محمد صالح، المشروع الوطني الآثاري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس، دار الأنوار للطباعة والنشر 2001م.
- علي عثمان محمد صالح، التقرير النهائي للمسح الآثاري لمشروع قسم الآثار في ضواحي مروي الشمالية 2004-2016م. جامعة الخرطوم_كلية الآداب_قسم الآثار.

الفصل الرابع

إضاءة على كتابات البروفسور علي عثمان محمد صالح العلمية المنشورة

إضاءة على كتابات البروفسور علي عثمان محمد صالح العلمية المنشورة

د. رحاب شمبول مصعب مساعد

قسم الآثار – كلية الآداب
-جامعة النيلين

خلفية تاريخية:

فى العام 1963م تم انشاء شعبة الآثار فى جامعة الخرطوم واخذت على عاتقها مهمة تكوين وتجهيز خريجين جامعيين متخصصين فى علم الآثار وبفضلها تمت أهم منجزات الآثار الحالية ؛وقد كان إنشاء شعبة الآثار تطور طبيعى من فرع التاريخ القديم بكلية الآداب جامعة غردون حيث رأت الحكومة البريطانية المصرية فى العام 1947م أهمية وجود متخصصي تاريخ قديم خاصة بعد أعمال (اوليفر مايرس) فى عبكة وبعد حفربات (فورد واركل) فى العام 1936م فى المسح الآثارى الأول فى النوبة السفلى .

وهنالك مجالات من الضرورى أن يسهم بها القسم أو الأشخاص يكون لها أثر واضح وأن لا يكون إسهام مهنى من أجل الترقى أو نيل الدرجات ولكن يكون تاسيسا وتنمية لمجال علم الآثار باضافة الجدبد أو حل المشكلات القائمة .ويمكن تلخيص ذلك فى بعض النقاط :

1. الانشاءات : وذلك بانشاء قسم او مدرسة او كلية او بتعضيد الاقسام القائمة وتذليل مصاعب التقدم فيها .
2. تأسيس مشروعات العمل الميدانى والمشروعات البحثية وانشاء علاقة بين المنشأة التى ينتمى اليها الطالب والجهات القائمة بالمشروع.
3. تدريب طلاب البكالريوس وطلاب الدراسات العليا واستقطاب طلاب مجالات مختلفة للتخصص فى الاثار مثل طلاب كليات العلوم واللغات والفنون وغيرهم.
4. اقامة المؤتمرات ودعوة الجمعيات والجامعات المهتمة لعقدها فى السودان.
5. المشاركة فى الحياة العامة والمسائل الوطنية والاسهام فى التفاكر وايجاد الحلول لمشكلات المجتمع والوطن الثقافية والسياسية .

6. المزاحمة فى مجال التخصص عالميا وايجاد مؤطى قدم لاظهار التفرد والخصوصية وابراز الميزات الخاصة بباحثى الوطن الموهوبين.

وفى الطليعة تخرج من هذا القسم السيد/ ثابت حسن ثابت الذى تم تعينة اول مدير لمصلحة الاثار ليتم بهذا سودنة هذه الوظيفة فى فترة الاستقلال وتخرج كذلك السيد/ الدكتور نجم الدين محمد شريف الذى درس علم المصريات ثم تخصص فى اللغات القديمة مصرية وقبطية ورومانية.وقام الدكتور مكادم بتدريسة اللغة النوبية فى جامعة درم بانجلترا.

فى العام 1958م بدات مشاركات الاثارين فى الحفريات باشتراك ثابت حسن ثابت مع فريكوتير فى حفريات موقع ودبانقا ثم كانت حملة انقاذ اثار النوبة وكان ثابت حسن ونجم الدين محمد شريف هما المسئولان عن نقل القطع الاثرية بالخرطوم . واستمرت مشاركاتهم فى الاعمال الاثارية ومعهم حسن باشا عبدالله. وعبد الرحمن ادم .وعكاشة محمد على .وصبحى اسكندر .وفتحى صالح .والصادق صالح واسامة عبدالرحمن النور.

اسهم قسم الاثار فى تخريج المتخصصين الذين تم قبولهم به منذ العام 1963م واصبحوا هم لبنة اساسية للعمل فى كافة مجالات الاثار العلمية والعملية فى السودان فيما بعد وتنسب الى اساتذة وخريجى هذا القسم الكثير من الانجازات. وقد اسهم بجهد وافر فى عدة ة مهام ومنها،اعداد الطلاب واقامة مؤتمرات مهمة مثل مؤتمر الحضارات الافريقية فى العام 2000م وذلك فى اطار احتفالات جامعة الخرطوم ببلوغها مائة عام .وكذلك قيام منظمة African Education Sience and Cultural Organizition.(افسكو). ومن انجازات قسم الاثار الاخرى ان كثير من الاساتذة الموجودين او حتى الذين ذهبوا الى بلاد المهجر قد تخصصوا فى افرع متنوعة مثل الدكتور السيد الانور عبدالماجد والدكتور على التجانى الماحى المتخصصين فى علم الاثار البيئى (Environmental Archaeology).والدكتور المرحوم فيصل الشيخ والبروفيسور عبدالقادر محمود متخصصي اللغات القديمة (سودانية ومصرية).بروفيسور عبدالرحيم محمد خبير متخصص فى الفخار (pottery).وبروفيسور.يوسف مختار الامين متخصص فى العصر الحجرى القديم وسيد الانور متخصص فى علم النباتات القديم.ود. احمد محمد على الحاكم تخصص فى علم المصريات (Egyptology).وتخصص البروفيسور خضر ادم عيسى فى علم المصريات والدكتور خضر عبدالكريم تخصص فى علم ما قبل التاريخ. ود.حسن حسين ادريس تخصص فى علم المتاحف.وهنالك من المتخصصين البروفيسور عباس سيد احمد والبروفيسور ابراهيم موسى والبروفيسور عمر حاج الزاكى والبروفيسور

انتصار صغيرون الزين المتخصصة فى الاثار الاسلامية ورغم ان القسم لم يخرج الكثيرمن العنصر النسائى .ورفد القسم علم الاثار بدفعات متميزة عملت فى كافة المجالات ومنهم د.صلاح محمد احمد منسق المشروع القطرى ود.كباشى حسين قسيمة جامعة دنقلا و عبدالحليم بابو فاتح الذى عمل سفيرا للسودان بوزارة الخارجية .

الفكرة والتنفيذ:

علم الآثار الوطنى والأعمال الميدانية :

البروفيسور على عثمان محمد صالح احد علماء الاثار السودانين الرواد الذين قدموا الكثير من العطاء المشهود من اجل علم الاثاروشهدت بذلك مؤلفاته العديده التى يتناول سردها هذا المقال وكتب كثيرا من التقارير العلمية التى تعقب الاعمال الميدانية التى يقوم بادارتها والمشاركة فيها ويمتاز هذا العالم بالقدرة على اقتراح الافكار والاقدام على تنفيذها . مثال ذلك وضع الاسس لافرع فى علم الاثار لم تكن ضمن مقررات شعبة الاثار - جامعة الخرطوم , القسم الرائد لاثار اقسام الاثار التى انشئت بعده فى عدد من الجامعات السودانية . ومنها علم الاثار الاسلامى وعلم الاثار الوطنى هذا العلم الذى اجتهد نظريا وعمليا فى جعله مادة تدرس وتمارس بعقول وايادى وطنية وقد كتب وحاضر ونشر فى ملتقيات وندوات ولقاءات عديده بهذا العلم الذى بشر بثمراته العظيمة التى سيجنيها السودان فهما خالصا لحضارته نابع من ابناء الوطن وفكرهم وتوقهم الشديد ليكونوا مستكشفى ذاتيتهم وهويتهم عوضا عن ان يقوم بهذا اجانب (ربما سمعوا عن السودان فى عام تخرجهم من الجامعة وحضروا للتنقيب فيه رغبة فى احراز درجات علمية او لظروف اخرى.) ونشر ورقه بعنوان National Archaeology – The case of Sudan.

وقد قدم الدعوة لكل العاملين فى حقل الاثار السودانية من ابناء الوطن بان يباشروا اعمالهم الاثارية فى ارجاء السودان الممتد ليثبتوا جدارتهم واستحقاقهم للانتماء لهذه الحضارة . وكان البروفيسور على عثمان قدوة فى ذلك فقام بتشكيل فرق عمل ميدانى اثارية وطنية على امتداد سنوات مسيرته العلمية الحافله نفذت معه مشروعات اثارية رائده. استنهض بها همم الدارسين والمهتمين وازال بها حجب الرهبة والتردد فى ارتياد مجال صعب فبات من الممكن شق الطريق بواسطة اللاحقين من الباحثين .

بداية ذلك كان فى نهاية الثمانينات من القرن العشرين اذ تبلورت لدى رائدنا الذى نال انذاك درجة الدكتوراه فكرة البدء بمشروع اثارى وطنى بمنطقة المحس

وبعد التخطيط اطلق عليه اسم (المسح الاثارى والتراثى لمنطقة المحس) وكان قد اعد اوراق متتالية لتكون الاطار العلمى والعملى للقيام بالمهام الميدانية للمشروع والاوراق هى :-

الورقة الاولى خطة المشروع : وشملت المعلومات المعروفة عن اثار المنطقة من الابحاث والدراسات كما شملت تفاصيل خطة المشروع مصحوبه بعدد كبير من الصور الفوتوغرافية والخرائط .

الورقة الثانية : بعنوان الآ ثار والمجتمع .

الورقة الثالثة : المذكرة التفسيرية : وتناولت – بالاضافة الى ما ورد فى الورقة الثانية ــ خطط الاثاريين عند الشروع فى تأ سيس عمل بحثى ما , وقد قدمت هذه الورقة لاعضاء فريق العمل الدائمين وغير الدائمين ولمجمةعة من العلماء والمهتمين .

د. بحث بعنوان (علم الاثار الوطنى فى السودان) : وهو عباره عن تأطير نظرى شامل للمشروع ولاهدافه ومراميه . وقد الحق بهذا البحث مذكره المشروع الاولى والمذكره التفسيرية كملحق اول وملحق ثان .وقد اعد هذا البحث بغرض عرضه على اساتذه وعلماء الاثار السودانية خاصة للمنافشه والتنقيح واثراء البحث الذى تناول الذى تبنى منهج العلوم المتداخله .

هـ . الورقة الخامسة : المذكرة الموجزه . والتى كتبت بعد الموسم الاول وتناولت اهمية الزمن الذى بدأ فيه العمل .كما تضمنت المفهوم الوطنى للمشروع باعتباره مثالا حيا لعلم الاثار الوطنى يلبى احتياجات المجتمع السودانى مع التزامه وتقيده بقوانين علم الاثار العام .

وهذا المشروع اثمر الكثير من النتائج الايجابية على كل الاصعده المتطلبة من مشروع علمى .

العديد من التقارير الاولية , رسائل جامعية غلى مستوى درجات الماجستير والدكتوراه

وتم تتويج ذلك بالسفر الشامل الموسومThe Archaeology of a Nubian Frontier

Survey on the Nile Third Cataract Sudanــ ويمثل هذا الكتاب ثمرة جهد استمر منذ مطلع التسعينيات فى المشروع انف الذكر. وشارك فيه الكاتب ديفيد ادواردز واخرين كانوا ضمن فرق العمل الميدانى كما ان هنالك عدة كتب هى الان تحت الطبع .

اما المشروع الثانى المهم جدا فهو مشروع مروى القديمة ـ المدينه الملكية

وصروحها وضواحيها الشمالية : التعريف , الصيانه , الترميم والتأهيل للسياحة الثقافية .

وقد درس المشروع فى مواسم عمل ميدانى عديده بفريق وطنى وباحثين وطلاب بمختلف المستويات والدرجات العلمية ؛الفترة المروية الغنية جدا بالمعلومات والتى ذادنا البحث فيها باننا ما زلنا نجهل الكثير عنها وعن موروثها الحضارى وقد خصص لها بروفيسور على عثمان كثيرا من الجهد والتخطيط واستغرق فيها ازمانا من المتابعة والبحث حتى اتحف المجتمع الاثارى خاصة وجميع المهتمين من اهل السودان بمكتشفات جديده ومعلومات وادله يجيب بها على تساؤلت متعدده شرعت ابوابها فى بداية العمل وكانت عناوين الدراسه الرئيسية كما يلى :

- المدينة الملكية فى مواسم كثيرة جدا وصروحهامن المعابد والحمام الملكى .
- العمران المجاور للمدينه الملكية.
- منطقة صناعة الحديد .
- الاهرامات , مدافن الملوك والملكات .
- الاهؤامات . مدافن الامراء والوجهاء .
- التل الترابي الضخم (الكوم الغربى) .
- مستوطنات العصر الحجرى المتأخر .
- مواقع قدو.
- محجر جبل ام على.
- موقع مستوطنة الضيقة.
- مقابر ما بعد مروى (350 ـ500 م) .

كذلك وضع لبنة مشروع دراسة اثار الشلال الخامس وهو تحت اسم المشروع الوطنى الاثارى المشترك لدراسة الشلال الخامس وؤThe Archaeological National Joint Project to the 5th Catract Region ANJP وهو مشروع ميدانى بحثى شامل لاثار المنطقة وبيئتها وانسانها وثقافاتها التقليدية بغرض انشاء نموذج علمى دراسى حديث فى الدراسات الانسانية والاجتماعية السودانية يضئ تاريخ منطقة مهمة جدا فى وادى النيل الاوسط , لعبت دورا رئيسيا فى صياغة تاريخ وثقافة وهوية السودان وهذا المشروع ميدان صالح لتدريب الطلاب وتأهيلهم فى مجال الاثار والعلوم الانسانية والاجتماعية الاخرى . ويتكون هذا المشروع من اربعة فروع رئيسه هى :

- فرع الدراسات الاثارية .

- فرع دراسات البيئه .
- فرع دراسات الثقافات التقليدية .
- فرع دراسات السياحة والتنمية المستدامة .

وفى كل فرع تم انجاز العديد من المهام وقد كتب اعضاء الفريق الاثارى وعلى رأسهم البروفيسور على عثمان .وكتب البروفيسور يحي فضل طاهر عن الفرع الثالث وكتب الدكتور احمد المعتصم الشيخ عن الثقافات التقليدية للمنطقة وكتب عن السياحة والتنمية المستدامه الدكتور على غثمان العراقى . وجميعهم اعضاء فى اللجنة العلمية للمشروع .

اما فى مجال الثقافة فلا يتسع المجال للاسهاب فى اوراق البروفيسور على عثمان باللغتين العربية والانجليزية ولذلك ساكتفى بذكر بعض العناوين للاوراقالغلمية والمقالات التى تحدثت عن الثقافة ومنها:

- الثقافة السودانية ـ الماضى والحاضر .
- ماهية الثقافة المادية كمصطلح علمى .
- الثقافة والاعلام الثقافى في السودان ـ التطور التاريخى والواقع المعاش وتطلعات المستقبل.
- التخطيط الاستراتيجى للسياسات الثقافية الوطنية .
- دروس فى حوار الحضارات : بعض اهم الدراسات والمفاهيم التى شكلت الخلفية الحضارية والثقافية عن السودان لدى الولايات المتحده الامريكية .
- المتحف الثقافى مستودع للشخصية السودانية .
- رؤية استراتيجية للعمل الثقافى فى مرحلة السلام.
- الندوة العلمية حول تعميق الوعى واحترام الخصوصيات الثقافية والتنوع الثقافى فى الوطن العربى والاسلامى . المسارات المتبعة للمصادقة على الاتفاقيات المعنية بموضوع الندوة :ـ حالة السودان
- اتفاقية اليونسكو لحماية وتعزيز اشكال التعبير الثقافى : الخلفية التاريخية والمفاهيم وانعكاساتها على السياسات الثقافية فى السودان.
- الموروث الثقافى فى السودان عبر القرون .
- - The Originality of Sudanese Cultures
- National Schools of Thought in Sudan`s Culture

وقد كتب البروفيسور على عثمان عدة مقالات متتابعة فى المجلة العلمية الرصينه مجلة (حروف) وكانت سلسلة من ثلاث مقالات باسم خواطر حول اصول

الثقافة السودانية . وكتب ايضا مقالا ضافيا بنفس المجلة فى احد اعدادها باسم مناهج دراسة الثقافات وضرورة التجديد ـ نظرية الحوار منهاج افضل لدراسة الثقافات السودانية .

أيضا كتب البروفيسور عن اثار وتاريخ السودان ومن بعض مقالاته ما يلى :

- السودان الجغرافيا والحضارة والتاريخ
- مشروع التنمية السياحية والاثارية فى السودان (وثيقة المشروع).
- اتفاقيات السلام التى صنعتالسودان عبر الحقب التاريخية من 23ق.م الى 2005 م
- The Nile Valley Countries Continuity and Change
- Sudan Archaeology 1925 – 1975 .
- ومن المعلوم فى اوساط كافة الاثاريين الدور البارز الذى قام به بروفيسور على عثمان فى ارساء قواعد علم الاثار الاسلامى وجعله فرعا اساسيا من فروع علم الاثار بالسودان ووضع له اركان متينة يدرس بها فى هذا الاطار مع خصوصية تاريخ واثار الاسلام فى السودان . وكتب عن ذلك باللغتين العربية والانجليزية . ومن منشوراته فى هذا الجانب
- المراحل الزمنية للاسلمة فى السودان . المواقع الاثارية والاحداث السياسية المرتبطة بها .
- Islamic Archaeology in the Sudan .
- وقد خصص البروفيسور عددا من الاوراق للمناهج الاثارية فى الجامعات ومن اهمها :ـ
- دور اقسام الاثار فى نشر الوعى الاثرى فى البلاد العربية .
- Archeology of Sudan.
- Why Bones in Archaeology with Especial Reference to Nubia .

وغيرها من موضوعات متنوعة خفظها له طلابه جميعا وقد درسوها وهم يتطلعون للاخذ من الغلم الوافر الذى يقمة لهم استاذهم دون من ولا كلل .

كتابات مخصصة :

خصص البروفيسور على عثمان كثيرا من المقالات والمنشورات عن منطقة النوبة التى ينتمى اليها فهومتشرب بثقافتها المحلية ويتحدث بلسانها وتكون وجدانه فى تضاعيف نشأته ورفقة الاهل من تراث ارض النوبة فكان نتاج ذلك اعمال فكره فى قضاياها وخصوصيتها فى ماضيها وحاضرها

واستعرض هنا بعضا من الكتابات المخصصة للمنطقة والتى اخذت حيزا مهما على قائمة الانتاج العلمى لبروفيسور على عثمان

- New Kingdom and Kushite Sites in the Third Cataract Region , Sudanese Nubia
- A sketch of Political History of the Medieval Nubian Kingdoms.
- The Post - Medieval Kingdom of Kokka : A means of A Better Understanding of the Administration of the Medieval Kingdom of Dongola.
- Nubia The Origins and Meanings .
- Medieval Nubia : Retrospect s and Introspects.
- Eskale Water Wheel in the Eyes of A Nubian .
- Nubian Culture in the 20th century comments on Session 15 .
- Archaeology and Settlement in the Third Cataract Region .
- Abu Fatima ; A Nubian Settlement From the Times of Kerma to Modern Times.
- Place – Names as Evidence of History ; The Case of Historic Nubia and its Language.

- القضية النوبية فى اطار القومية السودانية
- مشكيلة ونورى : المعانى والدلالات

اما التقارير العلمية عن نتائج الاعمال الميدانية وبصفته مديرا للمشروعات التى ورد تفصيلها سابقا فقد نشرت فى المجلات المتخصصة وفى التقارير المعدة للجامعة والهيئة القومية للاثار والمتاحف والجهات والجهات ذات الصله بالعمل الحقلى الاثارى حكومية او اكاديمية وذلك لكل موسم عمل مما يجعل المجال يضيق عن اعادتها وسترد عناوينها فى القائمة الملحقة بنهاية البحث . والحديث عن العمل الميدانى يطول لانه من المهام التى تتطلب بجانب القدرات العلمية الجيدة التى لا شك انها اهلته ليضطلع بتلك المهام : فقد ساندتها الكثير من الصفات الشخصية الضرورية للقائد حتى يستمر العمل الحقلى ويثمر نتائج مثمرة كالتى رصدناها فى هذا البحث . وهو قد حباه الله بصفات يسرت له التعاطى مع المواقع الاثارية ومع واقع الحال الذى يحيط بالموقع وظروفه ؛ منها مثلا القدرة على التكيف مع خصوصية كل منطقة وكذلك القدرة على التعامل المسئول والراقى مع اهالى اى منطقة يتوجه اليها من

احترام لتقاليدهم وعاداتهم وتقديرهم واظهار الود لهم وكذلك التحلى بثقافة عالية عن المنطقة وسكانها وجمع المعلومات حول طبيعتهم واشعارهم بانهم محور مهم جدا فى العمل اضافة لسعة الصدر عند تلقى استفساراتهم عن اسباب قدومك ومعك فريق للتنقيب فى ارضهم وهذه الصفات ايضا يتحلى بها البروفيسور مع فريق العمل وكل من يقدمون خدمة للمجموعة العاملة فى الحقل ولا يتوانى فى اشراك اعضاء الفريق لترك انطباع ايجابى لدى السكان وكذلك حثهم للتواصل الايجابى مع المجتمعات المحلية والاستفاده من ذلك فى الفهم العام للاشكالية تالاثارية التى ينشدون الاجابة على تساؤلاتها المطروحة . ياتى ذلك داعما لفكرة باحث الاثار الوطنى ويثرى حظه من الفهم العميق الواعى للاثار فى السودان داخل محتواها الثقافى .

اما ما قدمه بصفته خبير لدى اليونسكو فقد ترأس الكثير من المؤتمرات العامه وورش العمل فى الملتقيات واللجان وترأس الوفود زنشرت له تقارير فى قضايا متخصصة كانت هى محور نشاطاليونسكو وقاد فيها الجانب السودانى بحنكة واقتدار مكنتاه من جعل الاطروحات السودانيه تلقى حظها من التقدير والاهتمام فى هذه المحافل .بجانب عدة قضايا كتب عنها باسهاب وبمعرفة الاثارى الذى الم بعلوم الماضى مما يفتح بصيرته لادراك وقائع الحاضر والنظر بعين مستبصرة الى المستقبل .

ومن ذلك ان البروفيسور على عثمان قد كتب عدة مقالات فى سلسلة اطلق عليها اسم (شئون سودانية) وهى مقلات يجدر بكل قارئ الاطلاع عليها واتت تحت العناوين الاتية :ـ

دعوة للاتفاق على معانى ومدلولات ومضامين " المركز ــ الهامش" ," التنوع ـ التعدد " . "الدينالدولة " فى السياسه السودانية .

الختام :

هذه النبذه القصيره تمثل غيضا من فيض فيما قدمه العلم الجليل البروفيسور على عثمان محمد صالح من اجل العلم والوطن وحرى بنا ان نوثق هذه المجهودات ونثمنها عاليا اجلالا لجهوده وتقديما للنماذج المشرفه من ابناء الوطن للاجيال القادمة ليعلموا كم من نفر يبذلون وسعهم ويسكبون عصارة فكرهم وجل جهدهم لاجل اعلاء شأن السودان وتعميق هويته المتفرده حبا له وتقديرا . لذا وجب علينا ان ننشر ونعمم فائدة ما فى هذه المنشورات من علم و من ثقافة وكلما ابرزنا قيمة علماءنا كلما وجد الابناء معنى جميلا وتعودا ان يحملوا الوطن فى حدقات العيون لتصبح فينا سيرتهم قدوة وعلومهم نبراسا.

لمحة موجزة و مفصلة باسلوب مرجعى لمنشورات البروفيسور علي عثمان باللغتين العربية والانجليزية

:PAPERS PUBLISHED IN REFREED INTERNATIONAL JOURNALS

1. Ali Osman: “New light of medieval Nubia” Nyama akuma, journal of the society of African Archeologists (SAFA): No. 10. Pp: 45 – 47, University of Calgary. Alberta, Canada. (In English).
2. Ali Osman, Jay Spaulding, Ahmed El-Mutasim: “A Colophon from 18th Century Sennar”. Africanae. No. 6, pp: 13 – 20, 1980, Evan Ston. USA. (In English
3. Ali Osman: “Role of Archeology departments in the spread of archeological awareness in the Arab countries “, Majalat El-Yamen El-Sa`eed, No. 13, pp, 173 – 191, 1986, University of Sana`a. Yemen (In Arabic).
4. علي عثمان محمد صالح: « دور أقسام الآثار في نشر الوعي الآثاري ي الأقطار العربية مجلة اليمن السعيد . ، جامعة صنعاء1986 . 191 – 173، ص ص: 13 العدد رقم13
5. Ali Osman and David Edwards: “University of Khartoum Mahas Surveym Nubia: 1990 – 1992 Field seasons” Nyama akuma 38: 63 – 66. 1993. (In English).
6. Ali Osman and David Edwards: “The Archaeology of Arduan island – Mahas Survey 2000” Sudan & Nubia. The Sudan Archaeological Research society, bulletin no 4, p: 59 – 70, the British Museum, London, (In English).
7. Ali Osman and David Edwards: “New Kingdom and kushite sites in the Third Cataract Region, Sudanese Nubia” Göttinger Miszellen, GM 182, pp: 17 – 30, 2001. Göttinger seminar für Ăgrptologie und Koptologie, Germany. (In English).

8. Ali Osman. “The clash and dialogue of civilizations between the east and the west: A new look”. Majalat El-Ma`rifa. Year 42. No 478, pp: 145 – 162, July 2003, the ministry of culture, Arab republic of Syria. (In Arabic): as:. علي عثمان محمد صالح: «صدام وحوار الحضارات بين الشرق والغرب: رؤية جديدة» مجلة المعرفة. السنة 42 ص . وزارة الثقافة. الجمهورية العربية السورية .2003. يوليو 162 – 145 ص:
9. Ali Osman: “Archaeology and settlement in the Third Cataract Region during the Medieval and post Medieval periods” AZANIA, Journal of the British Institute in Eastern Africa. Vol. XXXIX, pp: 34 -49, 2004, Kenya. (In English).
10. Mona Abdeen, Hamad Mohamed Hmdeen and Ali Osman: “Tethering Stones from the Eastern Bank of the Third Cataract Region, Northern Sudan” Sudan & Nubia, Bulletin No, 23, 2019.
11. PAPERS: PUBLISHED IN REFREED LOCAL JOURNAL:
12. Ali Osman: “On the origin of Sudanese culture” Mujalat El- Thagafa El- Soudaniya: a. No. 15. pp: 64 – 69, 1980: Ministry of Culture and Information. Sudan (In Arabic) b. No. 16, pp: 39 – 54, 1980: Ministry of Culture and Information. Sudan (In Arabic)
13. c. No. 18, pp: 32 – 38, 1981: Ministry of Culture and Information. Sudan (In Arabic). As: علي عثمان محمد صالح: «حول أصول الثقافة السودانية» مجلة الثقافة السودانية : . وزارة الثقافة والإعلام. السودان .1980)69 – 64(.15 أ- رقم . وزارة الثقافة والإعلام. السودان .1980
14. 45 – 39.)16 ب - رقم. . وزارة الثقافة والإعلام. السودا ن1981)38 – 32(.18 ت – رقم)
15. • Ali Osman: “Culture Dialogue as a method to study the Sudan Culture” Mujalat El- Thagafa El- Soudaniya, No. 22, pp: 5 – 16, 1986: Ministry of Culture and information, Sudan. (In Arabic). As:
16. علي عثمان محمد صالح: «الحوار الثقافي كوسيلة لدراسة الثقافة السودانية». مجلة الثقافة السودانية. رقم 22(.5 – 16) .
17. • Ali Osman: “Approaches of cultural studies and necessity for their

innovation: Cultural Dialogue a better approach for the study of Sudan Culture" Mujalat Huroof. No. 2, pp: 39 – 49, 1991, University of Khartoum, Sudan. (In Arabic). As: علي عثمان محمد صالح: «مناهج دراسة الثقافة وضرورة التجديد: الحوار الثقافي منهاج أفضل لدراسة الثقافة السودانية» مجلة حروف. رقم 2 ص ص: 39 – 49، 1991 السودان. جامعة الخرطوم

18. • Ali Osman and Salah Mohamed: "The Sudan its Geography, History and Civilization" Mujalat Mhaiwr, No. 1, pp: 112 – 119. 1992. Ahliy University, Omdurman, Sudan. (In Arabic) as: علي عثمان محمد صالح وصلاح محمد أحمد: «السودان: جغرافيته، تاريخه وحضارته» مجلة محاور. رقم 1 -3 ص ص: 112 – 119. 1992. السودان. الجامعة الأهلية أمدرمان.

19. PAPERS PUBLISHED IN REFREED INTERNATIONAL CONFEREBCE PROCEEDINGS:

20. • Ali Osman: "Archaeology in the Sudan" In. Into 1980s. proceedings of the Eleventh Annual Conference of the Canadian Association for African Studies: ed. By Donald I. Ray and peter Shinnie and Donovan Williams, pp: 52 – 72, 1981, Tantalus Research Ltd. Vancouver Canada. (In English).

21. • Ali Osman: "Medieval Nubia: Retrospects and Introspects" In: New Discoveries in Nubia, pp: 69 – 92, 1982, Leiden, Holland. (In English).

22. • Ali Osman: "The post Medieval kingdom of Kokka: A means for better understanding of the administration of the Medieval kingdom of Dongola, In: Nubian Studies; ed. By J.M. Plumley, pp; 184 – 197, 1982, Aris, London, United Kingdom. (In English).

23. • Ali Osman: "scientific definition of Material culture". In: series No. 4 of the Folklore Center of the Gulf states. M aterial Culture, Arts and Crafts: pp: 87 – 106, 1985, Doha, Qatar. In Arabic as:

24. علي عثمان محمد 4 مركز التراث لدول الخليج. الثقافة المادية والفنون

صالح: « ماهية الثقافة المادية» في سلسلة رقمم. الدوحة قطر .1985 .106 – 87والحرف. ص ص:

.25 • Ali Osman: "Islamic Archaeology in the Sudan", In: Nubische Studien: ed. By Martin Krause, pp: 347 – 358, 1986, Verlage Phillip .(von Zambern, Mainz. Am Rhein. Germany. (In English

.26 • Ali Osman: "Nubian Culture in the 20th century" In Nubian Culture past and present: ed Tomas Hagg, pp: 419 – 431, 1987, Stockholm, .(Sweden. (In English

.27 • Ali Osman: "The folklore of Archaeological sites a case study from Nawri in the Third Cataract Region" In: An African commitment: Papers in the Honor of peter Lewis Shinnie. Ed. By Judy Sterner and Nicholas David, pp: 312 – 334, 1992. University of Calgary, Alberta, .(Canada. (In English

.28 • Ali Osman: "Approaches of cultural Studies: the role of Environment, the society and historical background in their formation" In: The Islamic Approach and Behavioral and Educational Disciplines. Papers of the fourth Islamic thought. Khartoum, Jn. 1987, ed. By El-Tyeb Zean El-A`bdeen, pp. 407 – 428. 1992, the international :institute of Islamic thought. Viriginia, USA. (In Arabic), as

.29 علي عثمان محمد صالح: « مناهج دراسات الثقافة : دور البيئة والمجتمع والخلفية التاريخية في تركيبها في: المنهج الإسلامي م. تحرير: الطيب زين العابدين. 1987 والعلوم السلوكية والتربوية أوراق مؤتمر الفكر الإسلامي الرابع. الخرطوم يناير. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. فريجينيا الولايات المتحدة الأمريكية. 1992، 428 – 407ص ص:

30. Ali Osman: "Nationalist archaeology. The case of the Sudan". In Etudes Nubiennes. Ed. By Charles Bonnet. Vol. 1, pp: 225 – 236, 1993. Geneves, Switzerland. (In English).

.31 Ali Osman: The role of Arab and Muslim travelers in archaeological discoveries in the Sudan" In: Sudan and Africa in writing of East and West travelers" ed. By: Nuri El- Jarah, pp: 377 – 392, 2006,

El-Siweadi for publication. Abu Dhabi, United Arab Emirates. (In :Arabic); as

32. عـلي عثـمان محمـد صالـح: دور العـرب والرحالـة المسـلمين في الكشـوفات الأثريـة في السـودان « في: السـودان وإفريقيـا في . السـويدي للنـشر. أبـو ظبـي 2006. 392 – 377كتابـات الرحالـة مـن الـشرق والغـرب. تحريـر: نـوري الجـراح. ص ص: الإمـارات العربيـة المتحـدة. -4

33. PAPERS PUBLISHED IN REFREED LOCAL CONFERENCES PROCEEDINGS:

34.

35. Ali Osman: "The Nile and the Nubians" In the Nile Valley countries: continuity and change, vol, 1, ed. By. M.O. Beshir, pp: 123 – 142. 1984. Institute of African and Asian studies, University of Khartoum. Sudan. (In English).

36. Ali Osman: "Historical Archaeology: an African viewpoint", In the Nile Valley countries: continuity and change, vol. 2. Ed. By: M.O. Beshir, pp: 59 – 71, 1984. Institute of African and Asian studies, University of Khartoum. Sudan. (In English).

37. Ali Osman: "The Sudanese Culture: Past and present" In: The Sudanese Culture, ed. By: Ali Osman Mohamed Salih and El-Bashier Sahl, pp: 16 – 38, 1990, Khartoum University press, Sudan. (In Arabic): as:

38. عـلي عثـمان محمـد صالـح: «الثقافـة السـودانية المـاضي والحـاضر» في الثقافـة السـودانية تحريـر عـلي عثـمان محمـد ، الخرطـوم، مطبعـة جامعـة الخرطـوم. السـودان .1990 ،38 – 16 صالح والبشـير سـهل، ص ص • Ali Osman: "Some of the most important studies and theories which formed a better American vision on the Sudan Culture and Civilization" In Sudanese American Relations, Middle East and African studies center, pp: 47 :– 61, 2003, Khartoum, Suda n (In Arabic) as

39. عـلي عثـمان محمـد صالـح: «بعـض أهـم الدراسـات والنظريـات التـي شـكلت منظـور أفضـل للثقافـة والحضـارة السـودانية عنـد .2003 ،61 – 47الأمريكيـين»

في: العلاقـات السـودانية الأمريكيـة، مركـز الدراسـات الإفريقيـة والشرق أوسـطية.
ص ص: الخرطـوم السـودان.

40. Ali Osman: "The discovery of Ezana`s capital in the heartland of Meroe". Nubian Archaeology in the XXI first Century, Proceeding of the Thirteen International conference for Nubian studies, Neuchâtel, 1st – 6th September 2014.
41. Hamad Mohamed Hamdeen and Ali Osman: "The role of Mollusca in ancient Nubia and the Sudan: Archeological and Ethnoarchaeological approach". Nubian Archaeology in the XXI first Century, Proceeding of the Thirteen International conference for Nubian studies, Neuchâtel, 1st – 6th September 2014.
42. Ali Osman: "Archaeology and settlement in the Third Cataract region. Abu Fatma: A Nubian settlement from the Kerma period to modern times".
43. عـلي عثـمان محمـد صالـح. إعـادة قـراءة وصـف إبن سـليم الأسـواني لبـلاد النوبة عـلى ضـوء الدراسـات الميدانيـة الحديثـة لمـشروع المسـح م. جامعـة الخرطـوم، كليـة الدراسـات العليـا وإدارة البحـث العلمـي والعلاقـات الثقافيـة، 2012 – 1990 الآثـاري والـتراثي لمنطقـة المحسـم .2013 المؤتمـر السـنوي للدراسـات العليـا والبحـث العلمـي، الدراسـات الإنسـانية والتربوييـة. المجلـد الثـاني.
44. 5 - UNPULISHED CONFERENCE PAPERS:
45. Ali Osman: "Contested Boundaries and shifting solidarities: the case of Nubia from 1899 – 1994", In the International conference of sociology, under the theme: Cultural Boundaries, University of Belfield Germany 1994.إتفاقيـات :عـلي عثـمان محمـد صالـح - 23 ق. م إلى السـلام التـي صنعـت السـودان عـبر الحقـب التاريخيـة مـن 1 .م2005م» ورقـة مقدمـة للملتقـى الفكـري الأول في إطـار الخرطـوم عاصمـة الثقافـة العربيـة 2008
46. Ali Osman: "the historical Geography of the Eastern Bank of the third Region" Proceeding of the fourteen International conference for Nubian studies, Paris 2018.

47. Ali Osman: “The Nubian Vernacular Architecture during the Medieval and post Medieval periods”, presented to the International conference of vernacular Architecture as a frame of life in Historic and African communities: The chair for History and Architecture and Urbanization, Berlin Institute,2019.
48. Ali Osman: “Nubian Heritage and personal memories: oral history of a half century of archaeological research”. In Nubian Heritage workshop, Faisal center, Holland, 2020.
49. 6 -MAHAS SURVEY ARCHIVE :
50. Ali Osman:A Note of information: The Ottoman period in the Sudan: New Archaeological Discoveries.
51. Ali Osman and David Edwards: The Mahas Survey: Interim Report and Site Inventory: seasons 1990, 1991, 2000, 2004. 300 pages 2005. University of Cambridge community service print room. Cambridge, England. (In English).
52. Osman and Azhari Mustafa Sadig: Archaeology and Ancient Settlement in the Mahas Region, 40 A-4 pages, 2005, Khartoum. Sudan. (In Arabic) as:

53. 2005. صفحة 40 علي عثمان محمد صالح وأزهري مصطفى صادق: الآثار والعمران القديم في منطقة المحس الخرطوم السودان .

54. 7 - PUBLISHED REPORTS:

55. Ali Osman: The Archaeological National Joint Project (ANJP)to the 5th Cataract region: first season (222001/ 7/22 – 6/) Field report. 94 (A-4) pages, 2001. Dar El-Anwar, Damascus, Syria, (In Arabic).

56. –22/6 علي عثمان محمد صالح: المشروع الوطني المشترك لدراسة الشلال الخامس: التقرير الميداني للموسم الأول ( ) دار الأنوار سوريا.2001 /7 /22

57. 8 - . PUBLISHED BOOKS:

58. Ali Osman and El-Bashier Sahl (editors): A Biography of writer Jamal Mohamed Ahmed:180 pages, 1988, Khartoum University press, Sudan. (In Arabic) as:

59. . مطبعـة جامعـة 1988 صفحـة 180 عـلي عثـمان محمـد صالـح والبشـير سـهل (محـرران): في سـيرة كاتـب سرة شرق، الخرطـوم. السـودان .

60. Ali Osman and El-Bashier Sahl (editors): In the Sudanese Culture: 2- :140 pages, 1990 Khartoum University press, Sudan. (In Arabic) as

61. . مطبعـة جامعـة 1990 صفحـة. 140 عـلي عثـمان محمـد صالـح والبشـير سـهل (محـرران): في الثقافة السـودانية.الخرطوم. السـودان .

62. Ali Osman and David Edwards: The Archeology of a Nubian 3- Frontier, Survey on the Nile Third Cataract, Sudan. Published in .2012 by Mauhaus Publishing

9 - UNDER PUBLICTION BOOKS:

Ali Osman: Historical Archaeology in the Sudan - 1

2 - علي عثمان محمد صالح: مقدمة في السياحة

علي عثمان محمد صالح: الثقافة السودانية الجامعه3.

المراجع:

تـم الاسـتعانه بمكتبـة البروفيسـور الخاصـة وكل المنشـورات التـى جمعهـا الكاتـب طـوال فـترة تتلمـذة عـلى يـد البروفيسـور خـلال سـنوات الدراسـة للبكلاريـوس ثـم الماجسـتير والدكتـوراه والكاتـب ايضـا عضـو فى مـشروع المسـح الاثـارى والـتراثى لمنطقـة المحـس.

الفصل الخامس

العلّامة علي عثمان محمد صالح:
صوفي في محراب الآثار السودانية

العلّامة علي عثمان محمد صالح:
صوفي في محراب الآثار السودانية

أ. إبراهيم الدلاّل - باحث.

مقدمة :

أذهل الخواجات ، أثنى عليه آدامز وخلّفه تشيني، واحترمه شارلس بونيه، وتنبأ له أستاذه هيكوك بمستقبل رائع ، وضعته كامبردج في سجلها الذي يحتوي على 2000 عالم أثروا في القرن العشرين وامتد أثرهم إلى القرن الحادي والعشرين ، جمع بين طاقية الشريف الخاتم وكاب تشيني في محبة لا تعرف الفوارق بين المعاني الإنسانية فهو من خلفاء الشريف الخاتم (راجل كَركوج)، وخليفة شيني في آن واحد، وهكذا تكون عظمة الرجال، من قناديل الليل ومن أحباب الفقراء والمساكين ورجل ذكر بامتياز من رآه بالنهار وحُجب بظاهره ظنه علمانياً يتستر بعلم الآثار وأوابد الحضارات القديمة، كما كان الشيخ محمد محجوب الدوكالي – الولي الكبير – الذي قال عنه أبوبكر العتيق : (وكان يتستر بصناعة الحلواء بمدينة كنو). كان الشيخ الدوكالي عارفاً كبيراً وكان متمكناً من صناعة الكيمياء وفي مقدوره أن يحيل النحاس ذهباً، ولكنه آثر صناعة الحلواء زهداً في الدنيا وستراً لحاله مع الله ، هو من أرومةٍ قومٍ أنا أسميهم يواقيت السودان، إنهم المحس – النوبة – والخزرج – والعروبة – والإفريقانية – والحضارة في أسمى معانيها . العمل معه أشبه بالوجد الصوفي الشفيف، وهو رجل صاحب مرايا كاشفة، من أحبه نسبه إلى الكشف الصوفي، ومن لا يحبه يعتبره أرواحي على علاقة بالجن و(النزازيل)، وهو بين هذا وذاك إنسان كأروع ما يكون الإنسان . علي عثمان سفرٍ نفيس جمع بين دفتيه تاريخ الحضارة السودانية بكل جمالها وسماحتها من العصور الحجرية، مروراً بكوش الخالدة ومروي الأفق المفتوح على إفريقيا والعالم، إلى رهبانية المسيحية الرائعة المسالمة، إلى إشراق الإسلام الحنيف. هو رجل ممتلئ بروحانية الطبقات التي هي عين روحانية السودان، هذا الوطن العربي الإفريقي ذو المعجونة النادرة. إنه ابن هذا الشعب الإكسير ذي الكيمياء المتفردة – تربال وعلامة ورجل تكايا ودرويش بطران ، بسيط إلى درجة الطفولة صعب المراقي

إذا جالس كبار العلماء وزاحمهم في آفاق مدارات المعارف العالية .. جمع فأوعى وشرب عصارة المعارف ونفذ إلى الخلاصات فصار على حد قول بدوي الجبل :

وأوجز في قارورة العطر روضةٌ ** وأوجز في كأس الرحيق كرومُ

إذا جلس بين النوبة وراطنهم صار ملكاً وإذا جالس العرب صار سيدهم تجري في عروقه دماء الشرف النبوي الكريم..

بخبرة الآثاري العجوز الذي ينضج الأسئلة على النار الباردة، قرأ الترجمة الصحيحة لنقش عيزانا وتلك كانت ترجمة جمال محمد أحمد (قبالة الخليج) وليس عكس الخليج التي ضللت الباحثين ، وبعد جهد مضنٍ وصل علي عثمان إلى مدينة عيزانا وكان في حالة أقرب إلى الجذب وهو يمدح بالرطانة ، وقد بدأ تلامذته يهتفون حينما رأوا أطلال المدينة في الوادي السحيق، وكان علي أشبه بدليل لقافلة أشرفت على الهلاك وقد أوردها مشرعاً مجهولاً في غياهب صحارى التاريخ ، وكان كشف مدينة عيزانا فتحاً أثرياً ودينياً وربما كان كشفاً صوفياً لأن الله أعمى عنها عيون الآثاريين على كثرتهم، ولم يطلع عليها جيرانها حتى اكتشفها البروفيسور علي عثمان محمد صالح ، قال لتلامذته وهو يصعد الجبل : (إذا توقف قلبي واصلوا أنتم) وهذا كلام رجل يضحي بحياته من أجل المعرفة، ومن أجل أن يكون السودان في مكانه المرموق بين الأمم. ، وجد رسومات الإبل وسيلة المواصلات في ذلك الزمان، ووجد نجمة داؤود التي لمعت في آفاق نجران وغابت في ركام وادي الضيقة ، ولك أن ترى امتداد الأثر السبأي داخل القارة حتى مدينة إفريقية بتونس التي ترمز إلى اسم إفريقش بن صيفي بن حمير بن سبأ الأكبر الذي سميت على اسمه القارة. وقد أورد المسعودي أن راهباً قبطياً عجوزاً أخبر أحمد بن طولون إن أصل ملوك النوبة من حمير ، وهذه الواقعة التي أوردها المسعودي ترجع إلى أكثر من ألف عام فتأمل ولك أن تتأمل أن بعض سكان الجبل الغربي بليبيا يتكلمون لهجة الدناقلة وأن بعض الفولاني يفهمون لهجة البجا وقد فهم سودانيٌ نيلي لهجات الولف والبنبارة القاطنين على ضفاف نهر السنغال. وتوجد كوش في الحوض الشرقي بموريتانيا، ويصنع (الكول) في كوش موريتانيا ، وامتد الأثر النوبي حتى زنجبار ويظهر القاموس النوبي جلياً في السواحيلية وغيرها من اللغات الإفريقية . واكتشاف مدينة عيزانا يحسم الجدال ويعمل على تأكيد فرضيات عبد الله الطيب والفاتح قريب الله حول هجرة الصحابة إلى السودان، وقد قدم العالمان الجليلان حججاً ناصعة ولكن الدليل الآثاري والكشف الذي قام به البروف سيكون جهيزة الخطباء وجهينة الأنباء وما ينبئك مثل خبير . وبحسه الآثاري العالي قال لطلابه وهو يقف على أطلال مدينة عيزانا : (أبحثوا عن الكهوف لأن

صـورة الإسـلام في رؤوس الصحابـة المهاجريـن هـي غـار حـراء وغـار ثـور) ، وقـد ودع سـيدنا عثـمان الرسـول ﷺ بغـار ثـور حيـث أمـره بالهجـرة وأن تصحبـه السـيدة رقيـة، وقـد وجـد الـبروف كهوفـاً عجيبـة ووجـد صرراً وأسراراً ليـس هـذا وقـت إذاعتهـا ولـكل مقـام مقـال. نشـأ الفتـى عـلي عثـمان فلاحـاً في بسـاتين النخـل وحقـول القمـح، وكان بقريتـه مسـجداً يغـص بالمصلـين والعبـاد وكانـت جدتـه لأمـه إمـرأة صالحـة تحفـظ القـرآن بسـبع روايـات رغـم أميتهـا وعجمتهـا وكانـت تـضيء كالقنديـل وكان الفتـى الشـفاف عـلي يـرى ذلـك النـور ويسـألها مراطنـاً (جـدتي ألا تحرقـك هـذه النـار؟).تقـع شـخصية البروفيسـور عـلي العجيبـة بـين (صفايـات) الشـيخ سـلمان الطـوالي وغزليـات إسـماعيل صاحـب الربابـة المكشـوفة وبـين التاريـخ النـوبي العظيـم الـذي أُثـرى المسـيحية وأعطـى الإسـلام ألفـاً جديـداً ظهـرت إشراقاتـه في السـلطنة الزرقـاء وفي إسـلام الطبقـات الـذي يمثـل الروحانيـة السـودانية في أسـمى تجلياتهـا .. والشـعب النـوبي العظيـم هـو الـذي أدخـل الإسـلام والعروبة إلى السـودان طوعـاً واختيـاراً ، وهـم الوحيـدون الذيـن تصـدوا للفتـح عنـوةً (رمـاة الحـدق) وارتضـوه صلحـاً (اتفاقيـة البقـط) وبرهنـوا في كلتـا الحالتـين عـلى عنصرهـم المذهـب ، فالنوبـة شـعب حضـاري لا يقبـل العنصريـة بـأي حـال مـن الأحـوال .وأثـار الزنكـور والحـرازة تـدل عـلى امتـداد مـروي داخـل السـودان وفي عمـق القـارة الإفريقيـة ، ففـي الحـرازة حيـث مصاهـر الحديـد، وجـدت سـبيكة النحـاس التـي صنعهـا الكوشـيون قبـل آلاف السـنين ولم يهتـدِ لهـا العـالم لمتحـضر إلا في القـرن الثامـن عـشر ، ووقفـت عـلى أطـلال حضـارة الزنكـور وكنـت أمـر عليهـا كـما مـر عليهـا الهمبـاتي زويـد وهـو يطـرد قرانـاً ثقيـلاً مـن الإبـل وهـو يـردد :

يـوم التـانيه خطـمن حلـة الزنكـور

ويوم التالته حدرن فوق جبال دارفور

ولا تـزال خارطـة الآثـار السـودانية متراميـة الأطـراف وبعـض الآثـار بكـرٌ لم تُفـض أسرارهـا بعـد ولم يقـف عليهـا الآثاريـون ، وكنـت قـد كتبـت عـن المصورات الغربيـة في (أبـو سـفيان) و(تقـرو) .. وأخـبرني الأسـتاذ الثبـت تكـراس الميـدوبي أن بشـمال دارفـور إهرامـات ووعـدني بالذهبـة إليهـا مـن أجـل التوثيـق ، وعرفـت منـه أن أهلنـا الميـدوب كانـوا يمارسـون حجـاً وثنيـاً يقفـون في يـوم التاسـع مـن ذي الحجـة عـلى جبـل مخصـوص ويفيضـون إلى جبيـل أشـبه بالمشـعر الحـرام وينحـرون الخـراف ويمارسـون الطـواف وهـذه الطقـوس ربمـا نقلهـا لهـم عـرب الجاهليـة الذيـن وفـدوا إلى السـودان قبـل الإسـلام، وربمـا أخذهـا هـذا الشـعب النـوبي العظيـم مـن مكـة مبـاشرة في عهـود سـحيقة وفي ذلـك مـؤشر قـوي لعلاقـة النوبـة القديمـة بالحجـاز ربمـا منـذ عهـد الخليـل وإسـماعيل .بـدأ البروفيسـور عـلي في تقديـم

سلسلة محاضرات توثق للحضارة السودانية سجلها لوكالة السودان للأنباء وقد (بنت) لنا (سيجة) هذه السلسلة ودعا لها مجموعة من جرارق علماء الآثار الغربيين الذين عملوا بالسودان من أمثال بونيه وجلبونسكي وغيرهم .

وقد حدثنا راهب الآثار السودانية شارلس بونيه حديث العارف عن عظمة كرمة وتحديداً (دوكِّي قيل) (إرم ذات العماد السودانية)، التي لا يوجد لها ضريب أو أي شي يقاس عليه في كل آثار الدنيا ، وقد قال بونيه بالحرف الواحد عن تاريخ الحضارة السودانية وهو يتحدث عن هذه المدينة : the greatest history in the world هذا الرجل جدير بالاحترام وقد نعته العلامة علي عثمان بالرجل العظيم وملك كرمة وهو يستحق هذه النعوت .

وسونا إذ تقوم بهذا العمل الجليل، فإنها تدرك أهمية الآثار في تحسين الصورة الذهنية للسودان، وتدرك الجدوى الاقتصادية المؤكدة للسياحة الآثارية .

وقد كان البروف علي عثمان (راس القايدة) في موضوع الحوار حول الهوية وقد أبلى بلاءً حسناً في هذا المضمار. والذي أود أن أقوله هو أنَّ الصراعات التي أقعدت السودان، لن تحلها الجيوش، وإنما يحلها العلماء والمثقفون من أمثال البروفيسور علي عثمان محمد صالح.

وفي الختام أقول إن علي عثمان ثروة قومية وكنز معرفي لا يقدر بثمن وهو مؤهل ظاهرياً وباطنياً لقيادة الأعمال النافعة. أطال الله عمره وفي عمره خير كثير للعباد والبلاد .. وأرجو أن يُكرّم هذا العالم الجليل والبحر المتلاطم وفي تكريمه تكريم لكل علماء السودان ووفاء لأرواح الأسلاف الذين أشادوا عظمة تاريخ السودان العظيم.

الفصل السادس

حديث الذكريات
عن عالم الآثار السوداني
البروفيسور على عثمان محمد صالح

حديث الذكريات عن عالم الآثار السوداني البروفيسور على عثمان محمد صالح

أ.د عبد الرحيم محمد خبير

أستاذ الآثار بكلية العلوم الإنسانية
جامعة بحري

مقدمة:

كانت البداية للعمل الآثاري في السودان المسوحات والتنقيبات ببلاد النوبة (شمال السودان وجنوب مصر) وهى ثلاثة : الأولى (1907-1911م) ، الثانية (1929-1934) والثالثة (1959-1960م) . وشهدت فترة الخمسينات والستينات الماضية تأهيل الكادر الرائد الأول من الآثاريين السودانيين (عبدالرحمن آدم محمد : 1924-1954، ثابت حسن ثابت : 1921-1996م ، نجم الدين محمد شريف : 1938-1994م وأحمد محمد على الحاكم :1938-1996م) وركز هؤلاء الرواد أعمالهم في المسوحات والتنقيبات الآثارية بداخل السودان.

أما الجيل الثاني من الباحثين السودانيين في مجال الآثار فقد تخرج معظمهم من جامعة الخرطوم وتتلمذوا على يدي الرواد الأوائل من الآثاريين السودانيين والأوربيين في المملكة المتحدة وكندا . ونال بعضهم تأهيله الأكاديمي فوق الجامعي كله في أوربا (مبارك عبدالله الريح : المانيا وأسامة عبد الرحمن النور: الإتحاد السوفيتي).

وعند إنشاء قسم الآثار بجامعة الخرطوم (1965م) ترأسه فى البدء بروفيسور بيتر شينيP.Shinnie .* المؤسس للقسم مع البروفيسور مصطفي الأمير (مصري). وخلفه البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله (1970-1971م) فالبروفيسور أحمد محمد على الحاكم (1971-1981م) (رحمهم الله) . وقد قام الأخيران بدور كبير في تأهيل القسم بالجامعة وعاونهما أساتذة غربيون (جون قاولت ، راندي هالاند ، بيرس كروكر ، إلزا كليب ، رتشارد بيرس ،بول كالو و ف.سكاربروف) وعرب(غانم وحيدة-عراقي) وسودانيون (على عثمان محمد صالح ، العباس سيد أحمد محمد على ، يوسف مختار الأمين ، خضر عبد الكريم أحمد وإبراهيم موسى محمد) . وتأهلت الدفعة الأولى من

الآثاريـين السـودانيين في الغـرب الأوربي (كمـبردج بانجلـترا وجنيـف بسـويسرا) والأمريـكي (كالقـاري بكنـدا) .

التأهيل العلمي للبروفيسور على عثمان محمد صالح :

تلقـى تعليمـه الإبتـدائي بموطنـه قريـة مشـيكيلا والمرحلـة المتوسـطة بدلقـو المحـس بالولايـة الشـمالية في الخمسـينات والسـتينات المنصرمـة . وواصـل دراسـته للمرحلـة الثانويـة بمدرسـة أم درمـان الأهليـة الحكوميـة . ولا يعـرف لمـاذا إختـار هـذه المدرسـة بالعاصمـة سـيما وأن الإقليـم الشـمالي توجـد بـه آنـذاك مدارسـثانويةتماثلها في العراقـة (مـروى وعطـبرة) ؟!.بيـد أننـي عـلى رأي مفـاده أن مـرد ذلـك أن عـلى عثـمان كان يعـد نفسـه أكاديميـاً في العاصمـة المثلثـة بغيـة لعـب دور بـارز في الشـأن العـام للوطـن في مقبـل الآيـام.

كان يقطـن مدينـة الخرطـوم (الديـوم الغربيـة) إبـان دراسـته بـأم درمـان الأهليـة الثانويـة الحكوميـة . وحدثنـا عـن ثنـاء أسـاتذته عـلى إجتهـاده وتوقعهـم لـه بمسـتقبل واعـد في دنيـا العلـم والمعرفـة. وخـص بالذكـر أسـتاذ اللغـة الإنجليزيـة بـأم درمـان الأهليـة الثانويـة الـبرت غبريـال الـذى إرتحـل الى دنيـا الخلـود في السـتينات الماضيـة .

إلتحـق عـلى عثـمان محمـد صالـح بجامعـة الخرطـوم طالبـاً في كليـة الآداب عـام 1965م . وتخـرج فيهـا بمرتبـة الـشرف الأولى في التاريـخ القديـم عـام 1970م. وتـم تعيينـه فـور التخـرج مسـاعد تدريـس بقسـم الآثـار الناشـئ حينهـا . وسرعـان مـا التحـق بـذات القسـم زميلـه العبـاس سـيد أحمـد محمـد عـلى بعـد فـترة وجيـزة .وحصـل كلاهـما عـلى منـح لدراسـة الماجسـتير بكنـدا (جامعـة كالقـاري) .

وأشرف عـلى رسـالتيهما البرفيسـور بـيرت شـينى وكانـت رسـالة عـلى عثـمان عـن "العهـد المسـيحي في النوبـة Christian Nubia " أمـا زميلـه العبـاس سـيد أحمـد فقـد تخصـص في دراسـات مـا قبـل التاريـخ . وكانـت أطروحتـه عـن " العـصر الحجـري الحديـث في السـودان "Neolithic in the Sudan"عـام 1973م . واصـل عـلى عثـمان تأهيلـه الأكاديمـي والتحـق بجامعـة كمـبردج (بريطانيـا) وحصـل عـلى درجـة الدكتـوراه مـن كليـة الدراسـات الشرقيـة متخصصـاً في آثـار العـصر الوسـيط في السـودان عـام 1978م .عـاد بعدهـا للسـودان أسـتاذاً مسـاعداً بقسـم الآثـار (1978 – 1984م) ، فمشـاركاً (1984 – 2000م) . وحصـل عـلى مرتبـة الأسـتاذية (Professorship) مـن جامعـة الخرطـوم عـام 2000م .وواصـل بعـد ذلـك عملـه بالقسـم حيـث قـام بتدريـس العديـد مـن المقـررات عـن الآثـار السـودانية والعربيـة والأفريقيـة .

الأبحاث والإشراف والنشر العلمي:

قام بتدريس العديد من المقررات عن الآثار السودانية والعربية والأفريقية .

الأبحاث والإشراف والنشر العلمي:

- أجرى الأستاذ على عثمان عشرات البحوث العلمية كما ترأس العديد من مشاريع البحث الآثاري . وكانت البدايات بمشروع جامعة الخرطوم لمنطقة المحس(1995-2013م) ، ترأس مشروع 1-SAP رقم (5) بمدينة Nauriعند الشلال الثالث في أقصى الإقليم الشمالي . وأعقب ذلك ترأسه لمشروع التدريب والبحث العلمي لجامعة الخرطوم بمنطقة جبل أم على في ولاية نهر النيل (-2015 وحتى اليوم) .
- أشرف على العديد من البحوث الآثارية لدرجتي الماجستير (n=23) والدكتوراة ((n=17 . وشارك بأكثر من (50) بحثاً علمياً في مؤتمرات وورش علمية داخل وخارج السودان . وبذل جهداً غير قليل في تأهيل الكادر السودانى الآثاري وذلك بتوفير منح للدراسة وفرص تدريب لإكتساب الخبرة خارج السودان (جامعات كمبردح ببريطانيا وكالقاري بكندا) .

الخبرات الإدارية :

- تقلد الأستاذ على عثمان رئاسة قسم الآثار لثلاث دورات خلال الأعوام 1983-1986م ، -1990 1995م و -1997 2003م . وظل عضواً بمجلس أساتذة جامعة الخرطوم ولا يزال منذ إلتحاقه بالجامعة منذ مطلع السبعينات الماضية وحتى اليوم .

خدمة المجتمع :

قام الأستاذ على عثمان بأدوار مهمة في خدمة المجتمع السوداني في مجال الشأن العام وفي الجانب الأكاديمي والمهني . فهو عضو قيادي بالحزب الإتحادي الديمقراطي . وشارك بفعالية في العمل السياسي خلال العقود الأربعة الفائتة . بيد أننى ساقتصر حديثى عن مساهماته العلمية والثقافية التي عرفتها عن كثب إبان فترة وجودى طالباً للبكالريوس وباحثاً للماجستيرفي قسم الآثار بجامعة الخرطوم (1972-1983م).

وفي مجال العمل الثقافي والإجتماعي العام سواء على المستوى المحلى والإقليمي والدولي فقد تقلد مهاماً رفيعة منها رئاسة لجنة المؤتمر الدولي للحضارة الأفريقية . إلى القرن الحادي والعشرين (1997-1999م) ، رئاسة اللجنة الثقافية للهيئة السودانية للولايات المتحدة (اليونسكو، اليسكو والإيسيكو (1997-2008م) كما عمل ممثلاً للسودان في اللجنة الدائمة للثقافة العربية (2000-2004م) ورئيساً لإتحاد الأدباء

والكتاب السودانيين للعام 2015م . ويعتبر الأستاذ على عثمان من المثقفين الموسوعيين . ورفد الساحة الثقافية السودانية بالعديد من الكتابات (مجلة الثقافة السودانية في الثمانينات) والمحاضرات والمؤلفات التي ربطت علم الآثار بالثقافة وخدمة المجتمع .

الجوائز والشهادات التقديرية :

حصل الأستاذ على عثمان على جائزة العالم المتميز في برنامج زمالات الصندوق العربي للتنمية الإقتصادية والإجتماعية (2008م). كما تم تكريمه من كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم لمساهماته العلمية البارزة . في تأهيل باحثي الدراسات العليا بالجامعة .

خواطر وذكريات :

للأستاذ على عثمان شخصية إجتماعية آسرة ويتمتع بحضور البديهة والمزحة الساخرة المحببة للنفس ، وعلاوة على ذلك ،فهو متواضع ومحبوب من طلابه وزملائه ومعارفه ويطلق عليه تلاميذه الكثر لقباً محبباً إلى نفسه وهو "عموعلي" .

لايتوانى الأستاذ على عثمان في تقديم النصح والإرشاد لطلابه وزملائه بكل أمانة وتجرد في مختلف قضايا العمل الآثاري . وهو دائم التحفيز المعنوي لباحثيالآثار. ومما علق بالذاكرة عبارته التي خصني بها عندما إطلع على بحثي الموسوم"نشوء الدولة السودانية : منظور أركيولوجي – تاريخي ، (نشر بمجلة دراسات أفريقية– جامعة أفريقيا العالمية – السودان ، العدد رقم 28 بتاريخ ديسمبر 2002م: 42 49-) : " يا خبير هذا مقال استثنائي ومن أجمل ما قرأت لك ". كما أزجى لي التهنئة الحارة بحصولى على جائزة الجدارة العلمية من الإتحاد العام للآثاريين العرب كأفضل باحث عربي في مجال دراسات ما قبل التاريخ للعام 2020م .وإعتبر الحصول على هذه الجائزة إنتصاراً للآثاريين السودانيين قاطبة.

مجمل القول، إن البروفيسور على عثمان محمد صالح أحد أبرز علماء الآثار على المستوي العربي والأفريقي والعالمي في دراسات آثار العصور الوسيطة. ولا ريب أن التتلمذ عليه والإرتشاف من أرخبيل علمه الثر سواءاً في حلقات الدرس أو من خلال مؤلفاته الجياد هو المنهل الذى استقى منه الكثيرون فى مجال الآثار خاصة والإنسانيات عامة . وكان خير معين لهم في مدارج حياتهم العلمية . نسأل الله له كمال الصحة وتمام العافية وأن يمده بطول العمر ويجعله ذخراً للعلم والوطن، إنه سميع مجيب الدعاء .

المراجع

1. رابط ميديا جامعة الخرطوم : https//www.Faceboc.com .1
2. http.//azharisadig.blogspot.comp/sudanes-archaeologist-page. html.?m=l مدونـة بروفيســور أزهــري مصطفــي صــادق